بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه   وبعد ..

فبينا أنا أقلب كتب السير والاصطلاح ، كانت تستوقفني بعض العبارات السلفية لمشاهير الأئمة ، فأسجل بعضها وأقيد الأخرى ، وأتحفظ ما طاب منها. ومما وقع عليه بصري ، وتردد في خلدي ، كلمة الإمام الفذ، **والحافظ المجاهد، شيخ الإسلام عبدالله بن المبارك رحمه الله ، عندما قيل له:**

(هذه الأحاديث الموضوعة أي من لها – فقال : تعيش لها الجهابذة) ونِعم ما قال ، فقد عاش جهابذة المحدثين للسنة النبوية ، وصانوها أيما صيانة، إذ فرزوا الصحيح من الضعيف ، ونقوا الجيد من الواهي وتصدوا للكذابين, وكشفوا تخرصات الدجالين وأبطلوا كيد الزنادقة ، فوصلت إلينا السنن المرويات محققة ، محررة ، قد استقام بنيانها ، وتم قوامها، وبانت قواعدها ومعالمها ، فيالله كم وصل إلينا من الكتب ، وكم قام من الأئمة ، وكم تضاعفت الجهود ، وتكاثرت التضحيات ؟!!

إنه لجهد مركز عظيم ، سبقت به هذه الأمة المباركة سائر الأمم ، حيث أسندت المرويات, وضبطت المحفوظات, وقُيِّدت الملحوظات ، وبزغت النتائج المرضية, واستنارت المباحث الوفية ، وغدا الحديث كالتيجان الزاهية ، والدرر الفاخرة ، التي يعز نظيرها, ويُعدم شبيهها، فكان قولاً ثقيلاً ، وملفوظاً جليلاً.

قد رسخت جذوره ، وعظمت أركانه ، واشتدت قلاعه ، لا يؤمه إلا فوارس الطلاب ، ونوابغ التلاميذ ،

الذين أصبحوا بعد ذلك حملته ، وصيارفته، الــذين هم به أنبغ وأعلم وأدرى . تمَّ لهم ذلك ، والنوايا منهم صــالحة ، والهمم شــامخة، والــرحلات مشــتعلة ، فخلّفـوا ما خلفـوا من الـتراث العظيم ، والمحصـول الوفـير ، والكـنز البـاهر العجيب ، الـذي شخصت له الأبصار، وطمحت إليه الأنظار!!

إن جهابــذة الإســلام عاشــوا للســنة، وعلومها وقضـاياها، وكـان هـذا نوعـاً مهما ، ودوراً ثابتـاً من عمل الجهابــذة وجهد الصــيارفة ، قصـدوا من خلاله حمايةَ الإسـلام ، وصـون الشـريعة, وذيـوع الـدعوة ، وإصـلاح المجتمع ، وتربية النـاس. لأن كشف الأخبـار الموضــوعة ، وردع الكذبة يعــنى ســلامة الســنة ، وتصحيح السـلوك ، وتنقية المسـار، والمحافظة على الاقتداء النبوي ، الذى يرتقي بالإيمان، ويهذب النفس ، ويقيم الأخلاق ، ويصلح حركة الحياة .

وهذا الـدور الـدفاعي عن السـنة الشـريفة هو ما عناه ابن المبارك رحمه الله ، وهو من أولويات الذب عن الإسلام، وحماية شـريعته ، لكن دور الجهابـذة لا ينتهى إلى هــذا الحد بل لهم أدوار ومقامــات أخــرى يجب عليهم امتثالها ، والشروع فيها، ليعظم بلاؤهم، وتصدق نصيحتهم، ويتسع تأثيرهم.

فالمحـــدث الجهبذ الـــذي يصـــون الســـنن من الضعاف والمنكرات، قد قام بجهد بارز ودور حسن ، لكنه في خضم ذلـــــك، لا يغفل عن نشر الســـــنة الصـحيحة, والقيــام بالــدعوة والإصــلاح، والتصــدي للكذابين والمبتدعين ، وإخراج المؤلفات الجيدة وبناء الأجيال، وهذا ما ينبغى أن يعيش له الجهابـذة! فـابن المبـارك رحمه الله ، بين دوراً عزيـزاً يحسـنه فئـام من النـــاس، ينبغي فيه التفاعل مع أدوارأخـــرى لا تضاده ولا تعكره، لأنه من الخطأ بمكان، أن يُفهم أن

عمل المحدث الجهبذ، ينتهي عند تميـيز الصـحيح من الضعيف ، عبر تحقيقات معينة ، وتأليفات محــدودة ، وهو قاعد مــــنزوٍ في مكتبتـــــه، وبين أســــفاره وقراطيسه.

إن عمل جهابذة الإسلام أكـبر من ذلك ، وأشـمل من ذلك التوجـــه, لا ســيما وأن ثمـــرات العمل في الســنة, نشـــرها، والتخلق بها والـــدعوة إليها ، حيث الطاقات باقية والجهـود مضـنية ، وهو ما كـان يفهمه علمـــاء الإســـلام حينما يتخصصـــون في الحـــديث وعلومـــه، فإنه لابد أن يُـــرى لهم في خلق وعمــــل، ويكونـــوا أول العـــاملين به ، حيث تشع الســـنن في أقــــوالهم وحركــــاتهم ، فيـــتربى النـــاس على ذلك ويقصـــــدونهم فتحصل لهم القيــــــادة ، والتوجيه ، ويكونون محط أنظار الناس ، حيث عنهم يصـدرون ، وبهم يــــــــــأتمرون كما هي طريقة الأئمة الأربعة والبخــــــاري ومســــــلم وأبي داود ، وأشــــــياخهم الأكـابر,والصـحابة الفضـلاء قبلهم ، حيث أدركـوا أن السنة قول وعمل ، وتحرك واقتداء .

فما أخــــــبر به ابن المبـــــــارك رحمه الله دور مخصوص من منظومة متكاملة يفقهها جهابــذة الأمة ، لان العلماء مسئوليتهم كبرى, ومهامهم جلى، خليق بهم أن يعــوا ذلك ، وقد أورثهم الله علمه ,وفضــلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً.

ومن الـــدعاة لمثل ذلـــك, نـــاطق هـــذه المقولة ابن المبـــــــــارك فقد غصت حياته بالعلم والعمـل,والبـذل, والسـخاء, والـدعوة والتدريس والتأليف، ولم تشغله الأمــور العلمية ، والمســائل البحثية عن أن يكــون عالمــاً مثــابراً في شــئون أمته ، يمهر قضــاياها ، ويتصــدر لمشــكلاتها، ويدفع عنها أعداءها. وسيرته من أبهى السير وأحلاها

، لا تكـاد تخلو من مواقف عظيمة ، ودروس مـؤثرة، وكلمات عطرة ، فقد كان إماماً مدهشاً، فهو محدث حجة ,وإمــام متبع ، ومجاهد عنيد ، وتــاجر ســخي ، وفقيه مفت، وشاعر نبيل ، حـاز أكـثر طـرق الخـير ، وفعلها في خدمة دينه وأمته ، فرحمه الله رحمة واسعة .

وفي هذه الرسـالة أسـتوحي من مقولته الغراء (يعيش لها الجهابذة) فـأبين عديـداً من أعمـال الجهابـذة الـذين هم بصـراء العلم، وخـبراء الفقه والحـديث، ونـاقلو الأخبـار، وأذكيـاء المعرفة ، الــذين خــبروا الشــريعة, ومهــروا الســنة والآثــار، واكتشفوا من مكنونات العلوم ما يجعلهم أكـثر عملاً، وأعظم جـــداً، وأبلغ أثـــراً في حركة نهضة الأمــــة, وانتشالها من ضعفها الجاثم، وهوانها الراسخ ، جــراء تضعضــعها في دينهــا، واســتهانة علمائهــا، وبطالة فقهائها ودعاتها ، معنونـــــــــــاً لها (ما يعيش له الجهابـذة) ومسـتفيداً من هـذه العبـارة ، وموسـعاً لمرامبها وأســرارها ، وأن الجهابــذة شــأنهم عظيم وأداؤهم مـتين ، يحتم عليهم الانضـمام لكل مسـاعي الإصــلاح، ابتــداءً من الحــديثي والعلمي، ومــروراً بالإجتماعي والسـلوكي ، وانتهـاءاً بالإصـلاح الفكـري والــدعوي حــاملين في ذلك مشــاعل الجد والبــأس والســــــير والمدافعة ، بكل همة ملتهبة ، وعزيمة صادقة ، وتوكل وهاج ، كما قال القائل :

همــةُ تقــرع الزمــانَ وعزم   **لا ارتخاءُ وخيبة وركودُ**

وقد تـــأملت ما ينبغي أن يعيش من أجله الجهابذة فألفيته ما يلي:

(1) الأحاديث المنكرة الموضوعة .

(2) نشر الدعوة الإسلامية .
(3) الذب عن الإسلام وشرائعه.
(4) محاربة البدع والشبهات .
(5) صناعة الكتب الرصينة .
(6) مناظرة المناوئين والمشككين .
(7) إعداد الأجيال العاملة .
(8) التصدي للحوادث والملمات .
(9) تكييف النوازل المستحدثة .
(10) بث المحاسن والسنن.
(11) التجسيد العملي للوحيين .
(12) الصدع بالحق الرباني .
(13) دفع السوء والمظالم .
(14) صيانة التاج العلمي .

فهـذه الأبـواب وأشـباهها، مما ينبغي العناية بهـا، وإدراك عظم حقها، وأنها من مستلزمات حمل العلم ، والبراعة في الســنة، والتــدين العميق ، الــتى هي صـــــفات جوهرية في الشخصـــــية العلمية ، وليس الدينية فحســـب! وإن كنا نـــرى أن حملة الحـــديث النبــوي أخص من غــيرهم بــدور العمل المضــاعف ، والجهد الســـخي ، والبلاغ المتـــدفق، لقـــربهم من شخص المصطفى صـلى الله عليه وسـلم ، ودرايتهم التامة بالســـنن الثابتــات، الـــتي هي قـــوام علـــوم التفسير، والعقيدة، والفقــه، والأصــول ، فكأنها البحر العظيم، وهي الأنهر المتفرعة عنه ، أو هي كـــــالنهر الزخار ، وهي الجداول المسكوبة منه .

فـإلى تلك الأبـواب والمجـالات الهامة في العمل الإســـلامى اليـــوم ، الـــتي نـــرى من الضـــروري استحضـارها في الذهنية العلمية الـتى تسـعى لتجديد الإسلام, وإحياء شعائره, وتعبيد الخلق لربهم تعالى ،

وإزهاق الباطل ، وإصلاح سائر شئون الحيـاة ، وهـذه وظـائف أهل العلم في كل زمـان ومكـان ، لا سـيما إبـــان الأزمنة المتـــدهورة الـــتي انحطت فيها الأمة ، وقلّ مصلحوها ، وعـزَّ خيارها ، وتـداعت عليها الأمم, حربـاً, ونهبـاً, واسـتعماراً ,كما هو حالها هـذه الأيـام ، والله المستعان .

إن الواقع المرير الـذي تصـطلي به الأمـة، حـريٌّ أن يبعث فى جهابـــذتها الغـــيرة الكاملة ، والعزيمة المتنامية للعمل المتواصـــل، والـــدعوة الجـــادة ، والتربية المسـتديمة, الـتي انتهجها السـلف الصـالح رضي الله عنهم, وتبعهم على ذلك أئمة الإســــــلام كأحمد ومالك واسـحاق وابن المبـارك ، والشـافعي والبخاري ، وأشباههم كـالنووي وابن حجر وابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن كثير، رحم الله الجميع .

إن كل واحد من هـــؤلاء وطبقـــاتهم – ممن لمن أســـمي – كـــان واعيـــاً لـــدوره العلمي والـــدعوي والإصـلاحي ، من حسن الاتبـاع، ونشر الحق ، وبـذل المعـــروف ، وإنكـــار المنكر ، وتربية الخلق وقضـــاء حوائجهم ، ودفع مخاطرهم ورزاياهم .

كـذا هو العـالم الجهبذ ، والشـيخ المتبصر ، الـذي يــدرك حق رسـالة القـرآن والسـنة, وأنها اسـتدامة العمل ، وحتمية الإصلاح، وربانية البلاغ والتبيين.
قال تعالى : **"خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ"** [البقـــرة : 64]، وقال عز وجل : " **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِـــــــــيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**" [يوسف : 108] . وقال تعالى : " **فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُـرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُــوا بَقِيَّةٍ يَنْهَـوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ** " [هود : 116]، إن دين الله تعـــالى ودعوته الحقة في أمس الحاجة إلى أنصـــار ومجاهدين ينشرونها ويذبون عنها ، متحملين في ذلك

شتى صنوف الأذى ، الذي هو ضـريبة النصح والبلاغ ، قــال تعــالى : " **الَّذِينَ يُبَلِّغُــونَ رِسَــالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَـوْنَهُ وَلاَ يَخْشَـوْنَ أَحَـداً إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً** " [الأحزاب : 39] .

والعملية الإصــــلاحية تحتـــاج إلى صـــبر على المتـاعب، وتحمل للمشـاق ، لتصل إلى رضـوان الله تعـالى ، فتقطف الثمــار وتجـني الخـيرات ، وتفــوز بالنعيم المقيم .

قال تعالى : " **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَـزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ**" [الأحقاف: 35] .

وهل يتم إصـلاح بلا صـبر، أو تنجح دعـوة بلا دأب وتحمل ؟! إن هــذه المعــاني مدروكة لــدى العلمــاء والجهابذة الكبار، الذين قُصدوا بهـذا التوجيه لشـرف مقامهم ، وعلو مكانتهم. أما سـواهم ، فيعـروه العلم ، وحسن التفقه ، الـــذى يجعله محلاً للســـقوط ، والـتراجع ، أو اجتيـاح الشـبهات ,فيخـذل المؤمـنين ، ويلوذ بزهرة فاتنة، أو لذة زائلة . والله المستعان .

ولربما يقـول قائل : لِمَ تحمل جهابـذة الأمة أكثر من طاقتهم ؟!

فــإنهم يتفــاوتون في العلم والعمل والقـدرة والاسـتعداد ! وكم من حفـاظ كبار ، قصروا في أبواب، وتراجعـوا عن مواقف؟!

وللإجابة على هذا الإشكال أقول : لا يكلف أحد إلا بما يطيق ، وليس بالضــرورة أن تجتمع هــذه المهام في شخصية واحـدة ، كما حصل من الفـاروق عمر ، وعبقريته الفـــذة ، أو ابن المبـــارك ، وحياته العامرة ، أو أحمد وثباته الكبـير،أوابن تيمية وتجديـده النادر، لكن المهم أن يدرك العـالم الجهبـذ، والأسـتاذ

البصير أن جهاد العالم وجهده أكثر من عامي بسيط ، أو متدين مشغول ، همه صنعته، ولقمة عيشه!!

إن العلماء سُرُج الحياة ، وورثة الأنبياءالكرام، ولابد أن يعموا بعلومهم ومعارفهم وتخصصاتهم, دروب الحياة الإسلامية ليحصل التأثير والتغيير، ويحسن التبليغ والتعبير، ولا خير في علم يظل محبوساً عن الناس ، معزولاً عن حياتهم ، لا يخالطهم، ولا يلامس شئونهم، وشجونهم !

إننا لا نطالب العالم الفذ بأكثر من جهده وطاقته ، وهمته التي وهبه الله تعالى إياها ، لكننا نلتمس فيه أن يحرك مكامنه, ويستعمل مواهبه, تدريسا وتوجيهاً ، وتربية وتأليفاً ، وتضامناً وتشجيعاً ، وأن يعيش معاني وأحوال القدوة النبوية، عليه الصلاة والسلام ، الذى هدى وعلّم، وقضى وأفتى ، وجاهد وبذل، وشارك وشجع وقال كما في صحيح مسلم :

(لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)

وفي صحيح البخاري (بلغوا عني ولو آية)

وفي الصحيحين (اتقوا النار ولوبشق تمرة ، فمن لم يستطع فبكلمة طيبة) .

نريد من العالم الفاضل كلمة طيبة ، أو فتوى صادقة ، أو موعظة مؤثرة ، أو رسالة قيمة ، اومشاركة رائعة ، تجسد وعيه بعلمه ، وخشيته لربه ، وحرصه على أمته ، وعمله بفقهه، وأن حياته لله تعالى ، وعيشه أكبر من مجرد حفظ العلم، وتدريسه دون وعي وجد ، وانتباه وشمولية " **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " [الأنعام : 162]،**

إن الفقيه المدقق يحيي أمته بالفتاوى المتجردة ، والمصنفات المستنيرة ، التي تصحح سلوكهم ، وتصلح شعائرهم الدينية، والمحدث الحافظ قادر على نشر السنة ، وكشف البدع، وتجاوز ذلك إلى مواقف حازمة ، ومشاركات فاعلة .

والمفسر البليغ يدني القرآن من الناس ، وينشر مائدته، ويربي حملته ، ويُحي قلوبهم بحب الله وخشيته .

والعقدي الحازم، يعمق أصول الإيمان، ويصحح التوحيد، ويهدم الشركيات,عبراتصاله الوثيق بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، التي تزكي النفوس ، وتنشر الهدايات وتصلح التوجهات .

والقاضي الشرعي ، المكلّل بزينة العلم والرئاسة، بيده بذل العلم ، وفك المتون ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتسهيل مشاريع الخير ، وحماية الصلحاء والتصدي للسفهاء ، فى مهام وإصلاحات كثير هو بها أعلم وأحكم .

والمقصود المهم أن يدرك كل عالم دوره وواجبه ، وأن أمته تتطلع إلى غَيرته وجهاده وجلاده ، بصفته وريث الأنبياء، وناطق الشريعة ، وحامي الملة الرفيعة . قال تعالى : " **وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** " [آل عمران : 79] .

وقال عز وجل : " **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**" [البقرة : 187].

وبيان الكتاب يعنى نشره وبذله في الخلق ، والدفاع عنه ، وعدم بخسه أو التقصير فيه ، واحتمال الأذى فيه ، وهذا مسلك لا يحسنه إلا جهابذة العلماء،

وفقهاء الشريعة الأعزة ، الذين فقهوا دورهم، ووعوا رسالتهم ومنهاجهم، والله ولي التوفيق .

لقد استرسل بي القلم، وطـــــارت بي الفكـــرة، فلم يبق هنا إلا أن أشـــكر البـــاري على توفيقه وتسديده, فله المنة أولاً وآخراً ، ثم إني أشـكر كل من آزر، وسـاند، ونصـح، وأخص الزوجة الفاضـــلة أم يـــزن, ثبتها الله على الحـــق, على إصـــغائها، وتشـــجيعها، وحرصـــها على بـــزوغ أنـــوار هـــذه الرســـالة المتواضـــعة، والله المؤمل أن يخلص نياتنـــا، ويصلح أعمالنا إنه هو االبر الرحيم .

وكتبه أبو يزن حمزة بن فايع الفتحي

القاهرة عشية الجمعة 16/6/1429هـ 20/6/2008 م

[1] الأحاديث المنكرة الموضوعة :-

وهي الـــتي اخترعها الوضـــاعون من الزنادقـــة، والجهلة والزهاد الضـالين لمقاصد باطلة ،وقد انـبرى لهم أهل الحـــديث والأثر فكشـــفوا زيغهم ، وعّـــروا جهـالتهم، وأطفـأوا نـارهم ، ولم يـزل المحـدثون في كل عصر يـــذبون عن الســـنن المرويـــة، تحريف المبطلين ، وأكاذيب الـدجالين ومـزاعم الوضـاعين ، فهم فرسـان هـذا الشـان ، وأقطابه الأكـابر، الـذين شـــاهدوا الآثـــار ، وخـــبروا محتواها ، واســـتطعموا حلواءها.

قـال سـفيان الثـوري (الملائكة حـراس السماء، وأصـحاب الحـديث حـراس الأرض) ، وقـــال يزيد بن زريع (لكل دين فرســـان وفرسان هذا الدين أصـحاب الأسـانيد) (تنزيه الشريعة 1/15)

وهـذا الجـانب هو ما قصـده الإمـام ابن المبـارك رحمه الله ، من أن صناديق الإفـك، والميـون، يعيش لها الجهابذة البصراء، فيحلونها حلاً ، وينخلونها نخلاً ، وكان هو من عمدائهم .

قـــال أهل الســـير في ترجمته **: قـــال ابن المـــديني (انتهى العلم إلى رجلين: إلى ابن المبـارك ثم من بعـده إلى يحـيى بن معين)** وقـال أيضـاً **(ابن المبـارك أوسع علما من ابن مهـدي ويحي بن آدم)** وقـال الإمـام أحمد :(**لم يكن في زمن ابن المبـــــارك أطلب للعلم منه).**

وقـــال أبو أســـامة : **(كـــان ابن المبـــارك في أصـحاب الحـديث مثل أمـير المؤمـنين في الناس) .**

ولما جئ إلى الخليفة الرشيد بزنديق ليقتله قال : أين أنت من ألف حديث وضعتها ؟! فقال الرشيد : أين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وابن المبارك ينخلانها فيخُرجانها حرفا حرفا . (تذكرة الحفاظ للذهبي 1/273)

وقال ابن حبان : أخبرنى الحسن بن عثمان بن زياد، قال حدثنا محمد بن منصور قال : مر أحمد بن حنبل على نفر من أصحاب الحديث، وهم يعرضون كتاباً لهم ، فقال ما أحسب هؤلاء إلا ممن قال رسول الله : **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة)**

قال ابن حبان : ومن أحق بهذا التأويل من قوم فارقوا الأهل والأوطان وقنعوا بالكِسر والأطمار، في طلب السنن والآثار ، يجولون البراري والقفار ، ولا يبالون بالبؤس والإقتار ، متبعين لآثار السلف الماضين وسالكين نهج محجة الصالحين ، برد الكذب عن الصحيح من الموضوع والزور من الأخبار.

وهذا من شرف المحدثين الكبير ، أنهم حماة السنة ، وحصن الإسلام ضد الوضاعين وأشباههم ، وقد بذلوا الجهد الجبار ، والعمل الدؤوب في الكشف والدقة والتمحيص. ومن يطالع سيرهم وتصنيفاتهم الثرية ، يدرك بجلاء عمق سعيهم وجدهم وجهادهم في خدمة حديث النبى عليه الصلاة والسلام .وأن فضلهم قد فاض على سائر الفنون، من حيث تصحيح الأخبار، وكشف الآثار، التي يستدل بها أرباب التخصصات الأخرى ، ويمكن أن نلخص أثرهم فيما يلي :

(1) تنقيح العلوم الأخرى ، وتبيين أصـول كل علم, وما حفل به من آثـــــــار ونصوص.
(2) نشر السـنن, وإبـراز مكانتهـا, وأثرها في الأمة .
(3) بيان ما اندثر من السنة ، وإحياء فضائل اندثرت ومحاسن تغيبت.
(4) فضح أعـداء الإسـلام، وجهلة العلـوم الذين يبثون مثل هذه الواهيات .
(5) بيـان الأثرالسـيء لتلك الموضـوعات الـتي ربما اعتقد قــوم صــحتها ، أو تسنن بها آخرون !
(6) تصـــحيح شـــعائر النـــاس ، وتنقية عباداتهم من كل الشـوائب والأغاليط .
(7) صد تيــار البــدع المنافية للشــريعة ، والــــتي تعتمد على شئ من هـــــذه المناكير والواهيات .

إلى غـير ذلك من الآثـار الـتى تؤكد فضـلهم على غــــيرهم ، وأنهم قد آووا إلى ركن شــــديد ، عـــزَّ به جـــانبهم ، وشـــمَخ به دورهم ، وتقلـــدوا به الزعامة الشرعية، والولاية العلمية .

وليُعلم أن معركة المحدثين مع الأحاديث المنكـرة والموضـوعة لم تنته بعد ، ولا يـزال ثمة أفـــاكون وكذبة ، يضـــعون ويـــزورون ، فـــوجب التصــدي لهم ، ولا يخلو زمـــان من قائم لله بحجة ، يدافع عن دين الله, ويحمي سنة رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، قد تضلع في الآثار، ومهر السنن والمصــنفات ، ولم يعد يخفى عليه منها شـئ. وهــذا نــوع

من الدور التجديدي للمحـدثين ، الـذي أشـار إليه الحديث الصحيح المـروي عند أبي داود ، أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال (إن الله يبعث لهـــــذه الأمة على رأس كل مائة ســـــنة من يجـــــدد لها دينها) وقد قـــــال السيوطي في منظومة المجددين:

يشار بالعلم إلى مقامه * وينصر السنة فى كلامه**

وأن يكون حاوياً لكل فن * وأن يعم علمه أهل الزمن**

فنصـــرة الســـنة والـــذب عنها من أعظم أدوار المجـددين، الـذين يبعثهم الله لهـذه الأمـة. وكشف الكذابين والوضاعين فرع التجديد في السُـنة, والـذى تميز به أئمة كبـار كيحـيى بن سـعيد وإسـحاق وأحمد والبخـاري وابن المـديني وابن معين و شـعبة وتلاهم أعلام كثـــيرون تمـــيزوا بالجهد الحـــديثي ، والفحص الخبري لكل ما يُذكر أو يشاع حتى القرون المتـأخرة ، وزمن تفرق الأمة وتشرذمها ، فـامتن الله على أمة الإسـلام في كل عصر بحمـاة وحـراس ، كـان منهم محدثون جهابذة ، وحفاظ صيارفة، كالشـيخ المعلمي والمحدث أحمد شـاكر والإمـام الألبـاني والعلامة ابن بـــاز ومشـــيخة الهند المشـــتغلين بالحـــديث وعلومه وغيرهم ، رحم الله الجميع .

أما مظـــــان هـــــذه الأحـــــاديث الواهية والموضوعة في عصرنا فكالتالي:

<u>أولاً</u>: كتب المبتدعة من الرافضة والصـــــــــــوفية وأصحاب الطرائق المنحرفة .

<u>ثانياً</u>: أحـاديث الوعـاظ والقصـاص, الـذين تسـنموا منـــابر الإعلام والتوجيه ، دون خـــبرة حديثية أو يقظة

إيمانية ، فــتراهم يســتدلون بكل ما هب ودب, دون تثبت ومراجعة .
ثالثاً: الجهلة من أهل الإســــلام في تحركـــــاتهم ,ومناشطهم المختلفة.
رابعاً: الكتبة في الشــريعة والفكر الإســلامى ، وما تحويه منشوراتهم من واهيات تدل على عــدم العمق والقدرة والتخصص .
خامساً: المتخصصــون في علــوم أخــرى ســوى الحديث ، لا تخلو كتبهم ومقالاتهم من مزايدات تنـبئ عن الضـعف الحـديثي والركـود العلمي ، الـذي حقه البيان والإيضاح، والرجوع لأرباب الاختصاص.

ومن المحــزن جــداً أنك قد تــرى جمــاهير من المســلمين يتســننون ببعض الأحــاديث الضــعيفة، ويتغــافلون عن الصــحاح الثابتة **، وقد قــال ابن المبـارك رحمه الله : (في الصـحيح غنية عن الضعيف**) وقد يزعم بعضهم جـواز العمل بالحـديث في فضـائل الأعمـال، فيجتهد دهـره فيهـا، غـير مهتم بســنن صـحيحات ، وفضـائل ثابتـات مع أن التحقيق عدم العمل بالحـديث الضـعيف في فضـائل الأعمـال كما هو اختيار جماعة من أهل الحديث .

أما الأثر السيئ المتوقع للأخبـار الموضـوعة فما يلي :

أولاً: بناء التصورات والمعتقـدات الفاسـدة ,بسـبب الاعتماد عليها ، واعتقاد ثبوتها.
ثانياً: إحداث المبتدعات التي تنافي الشريعة ، وهي ضــرب من الضــلالات الــتي تكــدر التــدين ، وتفسد السلوك وتضاعف الآثام، والله المستعان .
ثالثـاً: المسـاواة بالسـنة الصـحيحة، والـتي قد ينتج عنها الاهتمام الطاغي, والتمسك المتزايد.

رابعاً: تشـويش العبـادات، وتعكـير صـفوها بأفعـال مغلوطة، وخصال منكورة .
خامسـاً: توسـيع دائـرة الضـلالة المقلصة للهداية ، والجاذبة أصحابها إلى النار، **قـال صـلى الله عليه وسـلم : (إيـاكم ومحـدثات الأمـور فـإن كل بدعة ضلالة)** وفي رواية أخرى **(وكل ضلالة في النار)** .
سادسـاً: مزاحمة الـثروة السـنية الثابتة ، وأحيانـاً تقليلها ، وإضعاف شأنها ومكانتها.
سابعاً: حرمان الثـواب والتوفيق الربـاني، الـذي هو نهاية الاتباع الصحيح والتسنن المحمود.
ثامناً: الالتحاق بقافلة المبتدعة كالشـيعة والصـوفية ، الذين تعجّ كتبهم وشعائرهم بالبـدع والأباطيل ، كما هو مشاهد ومحسوس.
تاسعاً: بروز زعمـاء البـدع والضـلالة حيث يـتيح لهم مثل ذلك مزيـــــــداً من الإفســــــاد في العقائد والتعبـــدات,والـــذي قد يجر إلى إيصـــالهم للزعامة الدينيـــة، ومن ثم السياســية، الـــتي قد تجعل منهم علماء مكتملين ، أو وكلاء للأمة مع الغرب ، فينفذون مخططـاتهم ويجيبـون طلبـاتهم ، كما قد حصل زمن الخليفة الرشـيد حيث مُكنـوا مـدة ، ثم قلَب عليهم ، وفي زمن ابنه الخليفة المـأمون سـلم إليهم القيـادة الشــرعية ، وتبــنى الفكر الإعــتزالي، ودعمهم على أئمة الســـنة في فتنة الخلق المشـــهورة ، والـــتى امتُحن فيها أئمة الإســـلام ، وثبت أحمد رحمه الله ، وأبى الضلالة ، فجلد زمانَـه، ثم زمن المعتصم ، إلى أن جـــاء الواثق ، فواصل المحنة ، ففـــرج الله على الأمة بالخليفة المتوكل الذي أطلق أحمد والمشايخ ، ومنع الكلام فيها ، وقطع دابرها ، ولله الحمد والمنة .

عاشراً: اغترار جهال المسلمين بها، وبمحتوياتها، كأحاديث الفضائل، ومقادير الثواب المرتب عليها، وما في بعضها من عجائب وخرافات تستوقف السامع لها, وتستلب فؤاده .
هذا شئ من آثارها السيئة على واقع الأمة المسلمة ، لذا كان كشفها والتصدي لها من محاسن أعمال أئمة التجديد الإسلامي ، الذين مهروا القرآن, وخبَروا الآثار، وتجلدوا في فهمها وغربلتها ، بحيث لم يبرزوا إلا الصحاح، ولم يتدينوا إلا بالحسان الطيبات.
وفي الحديث الذي رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في السنن والخطيب في شرف أصحاب الحديث, وصححه الإمام أحمد بمجموع طرقه ، **قال صلى الله عليه وسلم : (يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله ، ينفون عنه تحريفَ الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين)**
وهذا الدور العلمي التمييزي إنما يحسنه المحدثون ، الذين تعمقوا في السنة النبوية فحفظوا نصوصها ، وضبطوا قواعدها, ووعوا جرحها وتعديلها ، حتى لا يكاد يخفى عليهم منها خافية ، وإنما تنتشر هذه الموضوعات بفقدان حملة الحديث النبوي ، الذين درسوا السنة دراسة عميقة ، وطالعوا كثيرها وقليلها .
لذا ينبغى التنبه لذلك ، وأن يكون من سياسة الإعداد الجيلي، تأهيل أرباب الهم العلمي, وتخصيص طائفة معينة ، **تُعنى بالحديث النبوي ، رواية ودراية وتصنيفاً وتحقيقاً ، وتدريساً وتبييناً ، يكون مهامها ما يلى :**

(1)بيان الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

(2)نشر الســـنة الثابتة ، وتربية الجمـــاهيرعلى التحري والتثبت .
(3)الــدعوة بالأحــاديث الشــريفة ، شــرحاً وعملاً وتطبيقاً .
(4)تضمين السنة مشروع الأمة الحضاري.

وفي معــنى الموضــوعات، الأحــاديث الضــعيفة الــتي بــان ضــعفها ــ بأســباب علمية مقنعة ــ نحو المراسيل ، والمناكير ، والمنقطعات والشواذ ، الــتي لم تجبر عللها بشواهد أو متابعات ، فهذه يُنبه عليها ، وتــذكر للعلم والبيــان ، حــتى تنقى الثقافة ، ويســلم الاســتدلال, وكم من كتــاب تفســير أو فقه ، طــاب لفظه وأسلوبه! كدره ما فيه من الأخبــار الضــعيفة ، والنصوص الواهية .

ولهذا يجمل بالمحدث المعاصر، والمحقق الباحث أن يعمد إلى كتب الفنـــون الأخـــرى كالعقيـــدة والفقه والتفسير واللغة ، ويقوم بتخريجها ودراسة أســانيدها ، لتقـــديمها للأمة في حلة قشـــيية ، تزهو بوشـــيها الفتان وأعلامها الزاهية , كما صنع الحفاظ كـالعراقي وابن الملقن ، والعيـــني ، وابن حجر ، والـــزيلعي، وأخيراً أحمد شاكر والألباني رحم الله الجميع .

ويتم التحـــذير منها والبيـــان ، من خلال الوسائل الأتية :

أولاً: التصـنيف المحـرر ، الـذي يحـوي ما شـاع بين الناس من أخبار موضوعة. نحو ما صـنع ابن الجـوزي والجوزجــاني والســيوطي والشــوكاني والعجلــوني وغيرهم .

وقد يكـون التصـنيف في أجـزاء حديثية مقتصـرة على خبر شاع وانتشـر. وهـذا مسـلك بعض الحفـاظ كالـــذهبي وابن حجر وابن رجب ، وصـــنعه بعض المعاصرين.

ثانيا: الفتوى المشفوعة بتوقيع المحدث, وفيها يقرر الحكم علىحديث واهٍ ,كان له آثاره السلبية، أو حصل السؤال عنه .
ثالثاً: المحاضرة العلمية التي تشرح كتاباً ، أو تعالج قضـــايا شـــرعية، تعلّق بها بعض الأخبـــار المنكـــرة والضعيفة ، فتحتم التحذير وحسن التبيان .
قال العرافى فى ألفية الحديث:

شرُّ الحديثِ الخبر الموضوعُ * الكذب المختلق المصنوعُ**
وكيف كان لم يجيزوا ذكرهُ * لمن علم ما لم يبين أمرهُ**

فلا يجـــوز رواية الخـــبر الموضـــوع إلا بالبيـــان والتحـذير . وبإمكـان القنـوات الفضـائية الإسـلامية، والجادة أن تعالج مشـاكل الوضع من خلال تخصـيص حلقـات خاصة لمحـدثي العصر ، ينبهـون على مثل هذه الأخبار، وينقدونها ويحـذرون الخلق من غوائلهـا، لا ســيما وأن فيها نوافذ للمبتدعة ، والضـــاربين في الجهالات ، الذين يفترون على الله الكذب، وينسـبون إلى رســـول الله الأكـــاذيب والتلفيقـــات البدعية ، والمستحســــنات العقلية ، وربما شـــــاركهم بعض الوعاظ والمربين ، فرووا أحـاديث بلا تثبت ، وقصّـوا أخبـاراً لا تُعـرف إلا في كتب الموضـوعات ، وجُمـاع الشائعات والغرائب !

فتعين على نبهـاء المحـدثين، السـباق الفضـائي لصد زحـــوف هـــؤلاء ، ونشر التصـــنيف الصـــحيح ، وحماية الشـــرع من كل بلاء وغائلة ، لا ســـيما وأن المعركة ساخنة مع المبتدعة ، وزعاماتهم الذين بـات لهم قنـوات مخصوصة ، وبـرامج منشـورة, وصـارت المنافسة على أشـــدها ، ولن يصح إلا الصـــحيح ، وسيُنصر الحق المليح .

رابعاً: بث ما عداها من الأخبار الصحيحة, والإرشاد إلى الكتب المعتمدة كالصحيحين المفضلين ، والسنن الأربعة الشهيرة ، وموطأ مالك ، ومسند أحمد . مع التنبيه عما يكون في بعضها من مرويات مضعفات.

ويمكن الاستفادة من كتب الجمع والاختيار نحو :الأدب المفرد للبخاري, ومشكاة المصابيح للخطيب التبريزي, ورياض الصالحين للنووي، والترغيب والترهيب للمنذري، وغيرها مما صنفه الفضلاء ، ويُستحسن طلب النسخ المحققة ، والتي حُكم فيها على الأحاديث ، وحصل التمييز والتنقيح ، والله الموفق.

[2] نشر الدعوة الإسلامية :-

وهذا من أهم مهمات جهابذة العلمـاء، أن يحرصـــوا على بث الخـــير والـــدعوة ، ونشر البلاغ المبين، وتعبيد الخلق لـربهم، وأن وجـودهم كان لحكمة عظيمة ، هي عبادة الله وحده بلا شـريك ، كما قــال تعــالى : " **وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيـدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ" [الـذاريات : 56-58]** ، وهـذه الــدعوة قائمة على القــرآن والســنة وفهم الســلف الكرام كما قال تعالى : " **قُلْ هَـذِهِ سَـبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِـــــــــيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي"** [يوسف : 108 **]، وهذا الجانب العظيم أولى الناس به، هم العلماء الذين يـدعون إلى الله على بصيرة, وذلك من خلال ما يلي** :

(1) إلقاء الدروس والمحاضرات العلمية والعامة .
(2) إصدار الفتاوى والكتب، التي تعالج قضايا هامة، وتبصر الأمة في دينها.
(3) الإمامة والخطابة الشـــــرعية في مناســـــباتها المعروفة .
(4) الإشــراف على الــدورات الشــرعية والعلميــة، والمشاركة فيها.
(5) مناصحة الخاصـــــة والعامة، كتابة ومشـــــافهة بالحكمة والموعظة الحسنة .
(6) توظيف كل تفاعل اجتماعي في سبيل الــدعوة إلى الله بالحكمة الساحرة, والموعظة الآســرة والله الموفق.

ولابد أن يتجـــاوز العلمـــاء الأفاضل النمطية في الــدعوة إلى الله ، ويســتغرقوا ســائر أوقــاتهم بكل وســائل الــدعوة, ويلتمســوا الوســائل الجديــدة ،

كالاستفادة من وسـائل الإعلام والشـبكة العنكبوتية ، ويسـابقوا الـزمن بكل جـدٍ وتوقد وحيوية ، إن كـانوا يفكــرون في اســتعادة مجد الإســلام، وإحيـاء عزته وهيبته .

إن الــدعوة إلى الله مســئولية كــبرى على أهل الإسلام، وعلى العلماء الأكابر واجب حتمي ، يزكــون به علـومهم ومعـارفهم قـال تعـالى **" وَمَنْ أَحْسَنُ قَــوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِــلَ صَــالِحاً " [فصلت : 33]**، وقال عز وجل **" فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُـوا فِي الـدِّينِ وَلِيُنــذِرُوا قَــوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُــوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " [التوبة : 122] .**

فحق العلم التزكية ، وحق الــــــدعوة البلاغ ، وحق التفقه الإنــذار كما ترشد إليه هــذه الآية الكريمة .

والــدعوة الجليلة إذا مورست بصــدق وجــد، أخلف الله أصحابها خيرات عديدة منها :

(1) ترســيخ العلم وتثبيتــه, من كل غوائل النسيان والتفلت .

(2) أداء الــواجب الشــرعى, بالتزكية الــتي تباركه وتزيده.

(3) تقوية الإيمــان وتنميته **قــال تعـالى " والـذين اهتـدوا زادهم هـدى وآتـاهم تقواهم " [محمد : 17]** .

(4) انشــراح الصــدور، وزوال الغمــوم، بممارسة الدعوة والنصح والتذكير.

(5) ديمومة الخـير وانتشـاره ، وأفـول الشر وكل صنوف الباطل .

والـــدعوة إلى الله يؤديها أهل العلم والفقاهة ، وهم يحتســبون أجرها عند الله ، " **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْـهِ أَجْـراً** " [الأنعـام : 90] فهم يبتغـون ثوابها ،

ويرجـون حسن عاقبتها من الفلاح والنجـاة والسـيادة للإســـلام ، وأهله ، **وهي في تبليغها تتوجه نحو الطوائف التالية :**

أولاً: أهل الإسلام عموماً، بالنصح والذكرى، المورثة للإيمان، والقاضية على كل صور القسوة والفتور .

ثانياً: الجهلة من المســـلمين بتعليمهم، وتـــربيتهم عقائدياً وفكرياً وسلوكياً .

ثالثاً: الحـاملون لشئ من العلم ، وقد تعلقـوا بشئ من الأغلاط والشواذ ، فيوجهون ويناصحون .

رابعاً: غير المسلمين من الكفار والملاحـدة ، الـذين يحتاجون إلى دعوة توحيدية, وتعريف بمبادئ الإسلام ومحاسنه ، لا سيما في هذا العصر الذي صـار العـالم فيه كالقرية الواحـــــدة، بفضل وســـــائل الإعلام المختلفة، وشبكة المعلومات الأسـطورية الـتي امتن الله بها على بـــني آدم، فأســـاءوا اســـتخدامها! إنها فرصة أهل الإسلام لـدعوة العـالم أجمع ، وتعـريفهم بهـذا الـدين القيم الـذي سـينقذهم من مسـتنقعات الهـوى والضـلال الـتي كبلتهم بالحسـرة، والضـيق، والكآبة.

وفي إطار العمل الدعوي المكثف، لابد أن يـدرك الـــدعاة النبلاء، ضـــرورة تعلم لغـــات القـــوم ، وأن يتصـدى لـذلك طائفة مقتـدرة، ومتقن الإنجليزية في هذه الأزمان يستطيع أن يشق دروب العـالم والـدول داعيـةً مجاهـداً ، ومتحـدثاً لبقـاً بعد تمكنه الشـرعي ورسوخه الإيماني.

قـــال تعـــالى: " **وَمَا أَرْسَـــلْنَا مِن رَّسُـــولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** " [إبراهيم : 4]، وفي تعلم لغة الأعــداء أمــان من مكــرهم ، واطلاع على ثقافتهم ، وفهم لأعرافهم ، وإقامة للحجة عليهم .

إن العالم اليوم يتفطر لهفاً على ما ينتشـله من موارد المتع المكدرة ، وما يأخذه إلى جنان السـعادة ليطعم لـذة الحيـاة ، ويـذوق راحة البـال . وذلك لا يكـــــون إلا فى الإســـــلام بحمله والتمسك به ، والاسـتمتاع بشـعائره ، قـال تعـالى : " **مَنْ عَمِـلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُـؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَـاةً طَيِّبَـةً وَلَنَجْـزِيَنَّهُمْ أَجْـرَهُم بِأَحْسَـنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " [النحل: 97]**

إنه لمن دواعي الفخر والســـــرور أن يتداعى الإسلاميون إلى الفضائيات تأسيسـاً ومشـــاركة, واســتثماراً, لعلمهم بـــالخطر الإعلامي, وتمدده الكاسح ! واستطاع عقلاؤهم أن يسـيطروا دعويـاً وإعلاميـاً على ميـادين الإنـترنت ، ويقـدموا للعـالم ريـاحين الضـياء وأزاهـير السـعادة ، ويعكسوا مدى عمق الجانب العقـدي والثقـافي لـدى أمة الإســلام . لقد وعت الأمة عجــائب النت النفاثة ،فاســتحالت مواقعها الهابطــة, وتصــاويرها الفاتنــة, مواقع إسـلامية ومراصد إخباريـة، ومصـادر معرفيـة، تشع بالمفيد والســبق والجديــد، وانطفـــأت مقولة الجهلة المســـتعجلين (**أن الإنـــترنت مضـــيعة للـــوقت**) ، صـــارفة عن المهمـــات ، بل اســتطاع الإسـلاميون أن يقبضـوا زمـام المبـادرة بعد أحـداث سبتمبر ، ويوجهوا الرأى العـام ، ويـؤثروا على صـناع القــــرار، ومراكز الدراســـات الغربية ، حيث تطلع الغرب للإسـلام وقضـاياه المختلفـة, واندهاشـهم بما حصل وتقـدر، فكـان من العجيب اللافت مطـاردتهم للمواقع الإسـلامية والمشـايخ السـلفيين الثـابتين ، حيث انحلت عقــدة احتكــار الخــبر الــتي اســتعملها العلمـــانيون عقـــوداً متتابعة ، ينشـــرون ما شـــاءوا ويشوشون كما أرادوا ...

فانفجر العالم بالعجيب * لا سيما بعد اكتشاف الويب.**

أتت الإنــــترنت فـــركب الإســــلاميون ثبج بحرها الزاخر ، ودكوا صروح الآلة الإعلامية العلمانية بفكيها الغــربي والعــربي ، وصــيروها عالــةً على الصــوت الإسلامي العزيز ، واستطاعوا تحويل المسـتحيل إلى ممكن، من خلال الانتشــــار الالكــــتروني المكثف ، والســبق الإعلامي, والأسر الوجــداني لما يقولــون ويؤصلون ، ويقررون.

وكــذا هي الحيــاة، جد وســباق وتــدافع، والمهم أن الأمة وعَت هـــــذه الإنجــــــازات الحضــــارية ، فصــــيرتها في خدمة الـــدين والدعوة وقـالت للعـالم ها نحن هنا .. وهـذا إقدامنا وممارستنا...

وعلى شبا إقدامه	***	**هان الردى والمستحيل**

[3] الذب عن الإسلام وشرائعه:-

وهـذا بـاب مخصـوص عما سـبق, يباشـره الجهابذة المتعمِّقون، الذين لـديهم البصـيرة التامة بالشـرع، والخـبرة بـدعاوى ومـزاعم، الأعداء الـذين ما برحـوا يهـاجمون الشـريعة الإسـلامية هـدما وعبثـاً وتشـكيكاً، إذ لابد أن يتخصص فئـات من العلمـاء المتقـنين لهـذا الجــانب ويولـــوه عناية فائقة بـــالرد والصد والتفنيــــد. لا ســـيما فى العصــــور الــــتي استُضـــعف فيها الإســـلام ، كما هو الحــــال الــراهن ، إذ تكــاثرت الســهام، وتعــاظمت الأحقاد ضد الإسلام وأهله .

ولو كان سهماً	***	**ولكـنه سهم وثانِ**

واحداً لاتقيته		وثالثُ

وفي الكتـــاب العزيز " **وَلَن تَرْضَـــى عَنــــكَ اليَهُـــودُ وَلاَ النَّصَـــارَى حَتَّى تَتَّبِـــعَ مِلَّتَهُمْ " [البقــرة : 120]ـ .** فمهما تــراخى المــتراخون، وتلاين المتلاينـون ، وقـدموا ما يملكـون من تنـازلات وقــرابين ، فلن ترضى أمم الكفر عنهم إلا بــالنكوص والارتـــداد ، ولـــذلك يســـلطون مثقفيهم بالتشـــكيك والعبث الفكري ، ليوهنوا عزم المسـلمين، ويكسـروا استعصـامهم بـدينهم ، لـذا وجب الحـزم معهم ، وإن تعذر الحـزم العسـكري ، فلا أقل من الحـزم العلمي والفكــري الــذي اسـتعمله أئمة الإســلام قبلنا كــأبي حنيفة ومالك والشـافعي وأحمد وأضـرابهم، ومن نحا نحــوهم وكــان له دور بلاء ومدافعة كــابن تيمية وابن القيم والشاطبي وابن حزم والغزالي وغيرهم .

إن الإســلام عقيــدة وشــريعة، أمانة في أعنــاق هــؤلاء العلمــاء، الــذين خصــهم الله بفضــله ، وفتح عليهم من أبـــواب رحمته ، فلابد أن يكونـــوا حصـــناً حصـيناً، وسـداً منيعـاً ضد كل الأعـادي والمـرجفين . يــدحرون بــاطلهم ، ويكشــفون عــوارهم، ويفنــدون ترهاتهم ، ليروهم أن الإسلام حق، وأن دين الله باق، وأن ســهامهم طائشـــة، ودعــاويهم هشة ، وفي ذلك من الإرغام لهم وإلحـاق الذلة والصـغار ما لا يخفى . وهو إعزاز لدين الله تعالى ، وحفظ لدعائمه وأركانه، وتثبيت لعباد الله المسلمين الـذين ربما كسـرهم، أو جــرَحهم تطــاول الأعــداء والحاقــدين على دين الله تعالى، فتعين الدفاع ، ووجب البأس والكفاح . **قــال تعـــالى : " وجاهـــدهم به جهـــاداً كبـــيراً" [الفرقان : 52].**

وعند ممارسة الــذب عن الإســلام وشــرائعه ينبغي مراعاة ما يلي :

أولاً: جلاء المنهج العلمي, أثنـاء عملية الـذب والـرد والكشف .
ثانيـاً: ارتـداء جلبـاب العـزة والكرامة ، والتفـاخر الـذاتي والفكـري بالإسـلام وعقائـده وأصـوله : **مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ** " [الحج: 78]، فلا مفخرة أعظم من كوني مسـلماً أدافع عن الله ورسوله .
ثالثــاً: المداولة بين الـــدفاع والهجـــوم، والتقرير العلمي والعقلي للخصــوم، بهــوان المنهج وهشاشة الأسـاس، وضـحالة الفكـرة، وأنكم تـأوون إلى ركن هزيل ، وتستعصمون بالخاسر البليد " **وَمَا زَادُوَهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ** " [هود : 101] .
رابعاً: تحري الإنصاف العلمي ، قـال تعـالى : " **وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْـدِلُوا اعْـدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى " [المائدة : 8].**
خامساً: دعـوة المخـالف إلى الحق ، وتحـذيره من مغبة التعلق بالباطل ، الـــــــذي هو أوهى من بيت العنكبوت ، قال تعالى: " **مَثَـلُ الَّذِينَ اتَّخَـذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنكَبُـوتِ اتَّخَـذَتْ بَيْتـاً وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيُـوتِ لَبَيْتُ العَنكَبُـوتِ لَـوْ كَـانُوا يَعْلَمُونَ** " [العنكبوت :41].
لقد هوجم الإسلام في فترات مختلفة عـبر التـاريخ ، ونيل من أحكامه وشـــرائعه ، وفي كل حقبة وقــرن ،يقيض الله علمـاء مجـددين يـذبون عن هـذا الـدين السوي ، ويقررون شرفه وخلوده " **إِنَّ الدِّينَ عِنــدَ اللَّهِ الإِسْلامُ** " [آل عمـران : 19]، فكـان ما كـان من تشويه كتاب الله ، ومحاولة إسـقاطه، فسـقطوا وبقي القرآن شامخاً محفوظاً ، يرتله الكبار ويحفظه الصغار ، **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** "[الحجـــر:9] ولما يئســوا من النيل من القـــرآن ،

اتجهـــوا صـــوب الســـنة المطهـــرة، فظهر الكذبة والزنادقة، وأرباب الاتجاهات السياسـية والعقلانيـون. الذين وضعوا الأحاديث ، وكذبوا على أشرف الخلق ، ووقعوا عن الله الإفك والباطل ، واستنقصت الآثـار ، فوقف أهل الحديث وحماة السنة (**وقفة عصامية**) ، أحصـوا خلالها المرويـات ، وحفظـوا الملفوظـات ، متتبعين الرجــال ، وشــامّين الــرواة ، يضــربون في الآفــاق ، ويشــقون الوديــان ، ويجتــازون الصــحارى والغابـات ، حـتى بلغ بهم المبلغ ، وانتهى بهم السـير إلى الصيانة الحقيقية والنقاوة البهية، وأودعوا السـنة كتابـاً مكنونـاً لا يمسه أهل الزيـغ، ولا ينـال منه ذوو الــدجل والتخريف ، فوصــلت إلينا صــافية نقيــة، قد علاها الحسن والبهــاء والإبــداع . وكــان ما تحــرك مغـرض أو لاهٍ إلا انـبرى له محـدث ، أوحجة يـدحض كلامه ، ويكشف شناره ، وعلى الباغي تدور الدوائر.

وفي عصرنا الحديث زحف المستشـرقون إلى تراثنا ، وخصوا السنة النبوية بمزيد البحث والفحص ، وســلطوا ســمومهم لهزيمتها ، وإســقاط منزلتها ، فأوهن الله عزائمهم ، وأخرص ألسـنتهم، إذ عـاركهم المحـدثون الأجلاء ، وأبـانوا جهلهم الفظيع ، وكـذبهم الواسع ، رغم غرسهم لأذناب شرقيين أمثال محمـود أبوريه ، ومن قلده من العقلانيين العصـريين ، الـذين يحاكمون النصوص النبوية إلى العقل الإنسـاني ، فما وافق العقل قبلوه ، وما عـداه رفضـوه ، فشد عليهم عبـاد الله المؤمـنين ، فكشـفوا عـوارهم ، وهتكـوا أستارهم. وقرروا حجية السنة. وأنها وحي كـالقرآن ، **قال صلى الله عليه وسلم كما عند أبي داود (إلا إني أوتيت القـــــرآن ومثله معه)** وفي الكتـاب العزيز : " **وَمَا آتَـاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** " [الحشـر:7] ، ومن

أحسن الكتب هنا ما كتبه الشيخ مصـطفى السـباعي رحمه الله في كتابه (الســنة ومكانتها في التشــريع الإسـلامي) وكتـاب (حجية السـنة) للشـيخ عبـدالغني عبـدالخالق وكتـاب (دفـاع عن أبي هريـرة) للأسـتاذ عبـدالمنعم صـالح العلي ، و(الحـديث حجة بنفســه) للمحدث الألباني وغيرها من الكتب الذابة عن السـنة الشريفة .

ومن المهم والمفيد جداً للذاب عن الإســلام وشرائعه، أن يكون على اطلاع واسع بثقافة القـوم, خبـيراً بالنحل والفلسـفات، ذا صـلة بالواقع وأفكاره وغرائبه ومستجداته ، قـال تعـالى: " **وَكَـذَلِكَ نُفَصِّـلُ الآيَــاتِ وَلِتَسْـتَبِينَ سَـبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** " [الأنعام:55]، والمجرمون في هـذه الأعصار بات لهم مذاهب وثقافات وكتب وجامعـات ، خليق بمن اشتغل بهذا الواجب ، أن يكون على دراية بمثل ذلك ، ليقــوى كلامه ، وتشـــتد براهينه ، ولئلا يؤتى من هذا الباب .

[4] محاربة البدع والشبهات:-

وهـذا مسـلك مهم من مسـالك الـدعوة والإصـلاح . ولكنه خُص هنا لأهميتـــــه، ولما حصل من تهـــــاون إسلامي، وركود عقائدي ، واكب تفكك الأمة ، وغياب العلمـاء ، وانـدراس الشـعائر ، الـتي نتج عنها ظهـور البـدع ، وبـروز الطوائف الضـالة، الـتي خاضت في دين الله بلا علم أو تسـننت بالبـدع والخرافـات ، أو التفت على الجهالة والخلافات !!

حـتى بـاتت الحيـاة الإسـلامية مكتظة بكثـير من البـدع العقائدية والسـلوكية من نحو الليـاذ بالمقـابر، والطـــواف بالأضـــرحة والتوسل بجـــاه فلان، أو حق علان من الصـالحين ، وإتيـان السـحرة والمنجمين ، وابتـداع صـلوات باطلة ، كصـلاة الرغـائب أول جمعة من رجب ، وإحيـاء ليلة العيـدين بالصـلاة والـذكر ، وتمجيد الله بأدعية وأذكار مخترعة كما تراه في كتب الصوفية والرافضة وغيرهم ممن جفوا السنة، وهـان استمساكهم بالحـديث الشـريف ، فوقعـوا في الزلل والتبـاب والمخالفة . وقد قـال تعـالى : " **قُـلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَـــــــاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ** " [آل عمران: 31] وقال تعالى : " **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** " [الحشر: 7]، وصح قوله صــــلى الله عليه وســــلم : (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**) أي باطل مردود على صــاحبه وقــال كما في حــديث العربــاض بن ســــارية رضي الله عنه كما عند أبي داود (**عليكم بسنتي وسـنة الخلفـاء الراشـدين المهـديين من بعـــدي ، عضـــوا عليها بالنواجذ وإيـــاكم ومحــدثات الأمــور فــإن كل محدثة بدعــة)** .

والعصـمة من البـدع إنما تكـون باتبـاع الشـرع كتابـاً

وسـنة، ً والسـير على خطا الأسـلاف فهمـاً واعتقـاداً وامتثالاً .

قـــال تعـــالى : " **وَالسَّـــابِقُونَ الأَوَّلُـــونَ مِنَ المُهَـــاجِرِينَ وَالأَنصَـــارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُـــوهُم بِإِحْسَـــانٍ رَّضِـــيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُـــوا عَنْـــهُ** " [التوبة:100]، فلن يفقه الدين مخلوق كفقه السلف الصالح رضـوان الله عليهم، الـذين عظمـوا الشـرع ، واتبعوا الدليل ، وجـانبوا الـدخيل، ولم يجد الشـيطان اليهم ســـبيلا، لاستحســـان الشـــواذ أو الاغـــترار بالمحـدثات ، بل كـانوا على الهـدى المسـتقيم نهجـاً وفهمـاً واتباعـاً ، وما ظهـرت البـدع والمخالفـات إلا فيمن بعدهم ، حيث ظهرت الأهواء ، واتسعت السبل ، وقـــال رجـــلٌ برأيـــه! وعظُم العقل على حســـاب الشرع والنقل ، فكثرت المحـدثات ، وعمت الشـواذ والمبتدعات ، فانبرى لذلك أئمة أجلة ، قفـوا الشـرع المطهر ، وتشـبثوا بـالأثر المـوقر ، متسـارعين إلى الأدلة ، ومتشـبثين بالسـنن والآثـار، وهم **من عُرف (بأهل الحـــــديث) ، وأنهم الطائفة الناجية المنصورة .**

ومن قال فيهم صلى الله عليه وسـلم : (**هم ما أنا عليه وأصـحابي وقـال : (هم الجماعة)** من نحو أئمة الحـديث المشـاهير ، والفقهـاء الأربعة لا سيما إمام السنة, حقاً وشيخ الإسـلام صـدقاً، الإمـام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وصموده المـتين في فتنة خلق القـرآن ، وطبقته الأفـذاذ من أعلام الحـديث المشـاهير, كإسـحاق بن راهويه وابن معين ويزيد بن هـارون وابن مهـدي وأشـباههم ، ومن جـاء بعـدهم كالبخاري ومسلم وأبي داود وبقية أصـحاب السـنن ، ومن تبعهم من الأئمة المصـــــنفين، والجهابـــــذة المقتدرين رحم الله الجميع .

والذين اختطوا منهاجهم في حفظ السنة، ونبذ البـدع كـالنووي وابن عبـدالبر وابن الصـلاح والخطيب وابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن كثير . الذين لمعت أسـفارهم بنصـرة السـنة وقمع البـدع وأربابها ، ومن قفـاهم من المتـأخرين والمعاصـرين كالشـيخ محمد ابن عبـدالوهاب وأئمة الـدعوة السـلفية كالألبـاني، وابن بـاز وابن عـثيمين وأحمد شـاكر, وأضـرابهم ، رحمة الله عليهم أجمعين .

ولنعلم هنا أن أسباب ظهور البدع ما يلي :

1. التخبط المنهجي ، وتلوّث مصادر التلقي ، التي لا تحسن فهم القرآن والسنة ، ولا تسـير فيهما سيرة السلف الصالح .
2. شيوع الجهل ، وقلة العلماء الراسـخين، الـذين هم بـالقرآن أعلم وبالسـنة أبصر وأحكم ، قـال تعالى : " **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** " [النحل:43]، وقال :" **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْـرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** " [النسـاء: 83] .
3. تغليب العقل على النقل والـوحي، الـذي ينتج عنه حصول الزيغ واتباع الهوى ، واستحسان ما ترفضه الشـريعة وتأبـاه النصـوص الصـحيحة ، وهذا ما تـورط فيه المعتزلة أصـحاب فتنة خلق القرآن فوقعوا في بلايا وطـوام ، سـجلتها كتب العقيـدة والسـير ، ولم يغفرها التـاريخ لهم . " **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِـخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ** " [الجاثية:29].
4. **تصـدر الضُّـلال والمخلطين، الـذين أضـلهم الله على علم، ومن كـانت بضاعته الثقافية مزجاة ، أو اسـتند إلى**

جــاه معين، أو نفــوذ مخصــوص. ومن الطريف هنا ما أنشده بعض الفضلاء!

بالجـاه تبلغ ما تريد وإن تُرد
رتب المعالي فليكن لك جاهُ
أو ما تـــــرى الــــزينَ الدمشقي قد ولي
درسَ الحديث وليس يدري ما هو!

5. ضـعف الجهــاد الــدعوي ، القــائم على البلاغ المبين ، والنصـيحة الصـادقة ، والسـنة الثابتة ، ومنهج الأسلاف والأئمة .
6. تقــاعس النخب العلمية عن القيــام بــدورهم المؤكد، وميثاقهم المـبرم ، وخلـوهم من سـوح البلاء، والنصح والتحذير ، قـال تعـالى : " **لَـوْلا يَنْهَـاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَـارُ عَن قَـوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّـــحْتَ لَبِئْسَ مَا كَـــانُوا يَصْنَعُونَ " [المائدة:63]،** قـال ابن عبـاس رضي الله عنهما : **(ليس في القـرآن أشد تعييراً للعلماء من هذه الآية).**
7. اليد الإسـتعمارية الباطشـة, والقائمة على دعم وتمكين الطــرق البدعية كالشــيعة والصــوفية والباطنية والعلمانية على حســاب أهل الســنة الأحرار ، واتجاههم السلفي الرافض لكل صـور الهيمنة الغربيــة, والمتطلع إلى اســتعادة إرث الإســــلام ، ولو على جمــــاجمهم, أو تمزيق جلــودهم . قــال تعــالى: " **فَمَا وَهَنُــوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا**" [آل عمران : 146] .

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا

ولكن على أقدامنا تقطر الدِما
تأخـرت أستبقي الحياة فـلم أجد
لنفسي حــياةً مثـل أن أتقدمـا

المؤسف أن هذه الطرائق البدعيـة، تحـالفت مع المحتل المســتعمر لنيل مكاسب دنيوية ، ولضـــرب قاعــدة الإســلام الســلفي العزيز فبــاءت نوايــاهم بالفشل ، وانكشف ولاؤهم القــذر ضد أهل الســنة ، ولم يعودوا مرشحين للسيطرة الإسلامية ، أو الإنجاز الحضـاري والتـاريخي المتمـيز ، إذ بـانت خيـانتهم ، وتكســرت عمـــدانهم, وانضـــموا لمعســـكر الكفر والضلال!!

قال تعالى : " **وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْـدِي القَـوْمَ الظَّالِمِينَ "[التوبــة: 51]،** وتطلعت الملايين المســلمة إلى هـــذا المد الإســلامي الجــارف ، الــذى بــان صــدقه، ورســخت عقيدته ، وصــدق قوله بالفعــال ، فآزرته وناصــرته على غــيره من الاتجاهــات والمســالك , ولله الحمد والمنة.

[5] صناعة الكتب الرصينة :-

التأليف صـنعة يحسـنها أكفـاء أهل العلم ، الـذين بقَّـروا بطـون الكتب، وشـقّوا عبـاب المعـارفِ غـير مبـالين بتعرجـات الطريق ، أو مخـاوف المسـير، ظافرين بعد عناء ونصب ، بلوامع الياقوت والمرجان ، التي خالطت أنفاسهم ، وامتزجت بدمائهم، لتخـرج نباتاً زكياً مباركاً ، قد بسقت أغصانه وازدهرت ثماره ، عـبر تـآليف فريـدة ، وتحقيقـات نـادرة ، وذخـائر نفيسة ، يشقى مقلدهم لوقـاربهم وينصب تـابعهم لو شابههم! والمكتبة الإسلامية تعج بالعجائب والنـوادر ، من تـراث السـابقين في مختلف العلـوم والفنـون ، وإن النـاظر لها ليتعجب كيف دُونت ، ونُقلت ، وتلقفها جيل بعد جيل ، حتى وصلت إلينـا، فأشـرقت بها المطابع الحديثة ، وازدهرت بها الـدور والمكتبـات والجامعـات ، وصـارت من مفـاخر هـذه الأمة ومعجزاتها أمام باقي الأمم الأخرى ، يحسدوننا عليها ويعجبون من ضخامتها وعمقها.

إنها لحقيقة تحمل على الفخر والاعـتزاز ، بما شـيده أكـابر علمـاء هـذه الأمة في كل قـرن ، حيث خـدموا كتـاب ربهم، وسـنة نـبيهم عليه الصـلاة والسـلام بعجـائب ما وصل إليه العقل البشـري ، وتوجوهما بالـدرر الفـاخرة، والعقـود البـاهرة، الـتي لا يـزال المتأخرون يتقلدونها ويتنافسون فيها ، فلا تزال أقلام المعاصرين عالة على مؤلفـات أئمة أمثـال ابن جرير والنـووي والخطيب والخليل والغـزالي وابن تيمية وابن القيم والشـاطبى وابن حجر وابن كثـير وابن رجب والسخاوي والسيوطي ، وأشباههم ممن خلفوا مراجع فـذة، وبعضـهم تـرك مكتبـات تتغـذى عليها الجامعـات الحديثـة، ومراكز البحـوث والدراسـات. ومما زاد هذا التراث شرفاً ، أنه نقل بالأسانيد، ووثق

بالمرويات المحققة ، فلم يعد هناك مجـال للكـذب ، أو الغش أو التـدليس ، وهـذه خصيصة لهـذه الأمـة، فاقت بها سائر الأمم كما قيل:

وخُصّت الأمة بالأنسابِ * وبالأسانيد وبالإعرابِ**

فاستفاضت كتبهم ، وهي حاوية لقيم علمية ، وحققت مقصـداً من مقاصد التـأليف المعروفـة، من اختراع لمعدوم أو جمع لمتفرق، أو تهذيب المطول ، وترتيب المخلط أو شرح الغامض ، وإيضاح المبهم أو تكميل النـــاقص ، أوتفصـــيل المجمل ، وهي ثمانية مقاصد أول من ذكرها أبو محمد ابن حزم في (نقط العروس) ثم توالى العلماء على ذكرها .

إن تقييد جــواهرالعلم والمعرفــة، مســئولية مَنْ منَحهم الله تعـــالى من علمه ، وخصــــهم برحمته ، وأفــاض عليهم من فتوحاته وبركاته ، وهو نـــوع مهم لحفظ العلم وصـيانته من الضـياع والنسـيان ، ولهـذا أدرك علماء الإسلام أهمية ذلك ، فسَعوا إلى التأليف والتصـــنيف من بواكـــير الـــدعوة وانتشارالإســـلام, فحفلت عصور الإسلام بالمصنفات البــاهرة **والكتب المتكاثرة ، وكان التأليف يتم كالآتي** :

1. منه ما هو عبــارة عن أمــالي ودروس يعقــدها العـالم لتلاميـذه فيتم تقييـدها من قبل الطلبة ، ومن ثم تنشر في الآفاق . وقد يراجعها الإمـام, وقد لا تعرض عليه .
2. أن يتوجه قصد العالم إلى قضـية مـا، يـرى أنها من الأهمية بمكان، كالتأليف في قضايا التوحيد أو العبادات التي يلتمسها الناس .
3. أن تثار قضية ما، وتحتـاج إلى تاصـيل وتحريـر، فتتجه همة بعضهم للبيان والإفادة .

4. أن يكون التأليف للرد والتعقيب, كما حصل من شـيخ الإسـلام ابن تيمية في رده على الشـيعي ابن مطهر الحلي الذي صنف (منهـاج الكرامـة) فنقضه ابن تيمية بـ(منهاج السنة النبوية) فجـاء كتابه حافلاً ، يعز نظيره في كتب الردود.

ولابد أن تتوافر الأهلية لدى المؤلف والكـاتب ، فلا يخـرج إلا ما هو مفيد ومُحتـاج إليه ، وعلمـاء الأمة وقادتها هم أولى النـاس باكتســاب هــذه الأهلية ، والقـدرة المعرفية والبيانية حـتى يتجـاوزوا دائـرة الخطأ ، ولئلا يصـــــبحوا مظنة الثلب الجـــــارح ، والانتقاد القاسي . ولوعورة التصنيف الجيد ، **قال الخطيب رحمه الله (من صـنف فقد وضع عقله فى طبق يعرضه على النـــــــاس)، وقال بعضـهم (من ألف فقد اسـتُهدف)** ، ولذا تعين أخذ الحذر ، والاستعداد الكامل بـامتلاك الأدوات ، والآلة العلمية المتقنة ، وتوجيه الأشــياخ بذلك، فإذا تحققت الشـروط ، وانشـرحت النفس للكتابة ، فليكن الأثر المنتج على قـــدرٍ عـــالٍ من العلمية والــوعي والوضــوح ، ومسـايرة العصر ، بمعــنى أن تؤلف بلغة رصـينة ، تتوسط الإغــراب والسطحية، حاويةً لمصـطلحات الحيـاة وقضـاياها وتطوراتها ، إذ لكل عصر لغته وظروفه وشجونه ، ولست أعــني هنا الكتابة الصـحفية ، أو المقـالات الثقافية ، كلا! بل أعــني حــتى التــأليف العلمي ، الشـارح لبعض كتب الـتراث يتعين تقريبه للنـاس، وتســـهيله بلغة مفهومــــة، تنــأى عن الضـــحالة والســـطحية، من نحو كتابـــات الإمـــام ابن قيم الجوزية رحمه الله في أكثر مصنفاته المستملحة, وتحقيقاته المسـتطابة ، الـتى يستسـهلها جمـاهير العصر .

كـذلك (**أقطاب المدرسة السـلفية**) الـتي لم تبدل أو تتحول، ولايزال الغرب يخشاها، ويصفها (بالفاشـية الإسـلامية) ينبغي أن تتجـاوز مؤلفاتها الانغلاق، والعزلة العلمية ، والنزعة التراثية المفرطة ، لتصل إلى خطـاب علمي، سـهل ميسـور، ناصح الحجة ، خـال من التعقيد ، سـلس الأسلوب، واضح الفكرة ، مباشر الطرح، يخـاطب العقل والوجـدان، في آن واحـد. وليكن هـذا هو (**القلم الجديـد**) لمحـترفي التـأليف حـتى يسـتقطبوا شـرائح واسـعة من العـالم الفسـيح ، ولتشـرح الطحاويـة، والواسـطية ، والبخـاري والأصـول الثلاثة بجمل علميـة، متلائمة والعصر المعـاش بكل معارفه ومتغيراته . كـذا هو في نظرنا الرصـانة التأليفية ، والتجديد العلمي، والثقـافي لـرواد الكتابة ، وعمالقة التصـنيف والتقييد ، قـال تعـالى: " **وَمَا أَرْسَـلْنَا مِن رَّسُـولٍ إِلاَّ بِلِسَـانِ قَوْمِـهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** " [إبـراهيم:4]، وقد قـال علي رضي الله عنه (**حـدثوا النـاس بما يعرفـون أتريـدون أن يكـذب الله ورسـوله**) ؟! علقه البخـاري في صحيحه بصيغة الجزم.

وقد يكـون من أسـباب خمـول كتب الشـيخ المصـنِّف, عزلتها عن قضـايا العصر وأسـلوبه وأحاسيسه وأسراره! لكأنة يعيش فى عصر آخر! لابد أن يخاطب العـالم الفقية والأسـتاذ المحـدث، عصره بما يناسبه لغةً وأسلوباً وتـأثيراً, ولا يصـنف لطبقة ضيقة تعيش في الماضي السحيق !!

نريد أن تعي الأمة القرآن وتدرك تفسيره عبر كلام محرَّرٍ مفيد ، يُكتب بلغة عملية ميسورة ، وبأسلوب حضاري مؤثر ، يلامس الزمن

المعاش وقضاياه وتقلباته ، حتى تقرأه الطوائف المختلفة وتنتفع به أمم متباعدة .

كذلك من يدرس علم العقيدة ، ويؤلف فيه ليكن على إلمام جيد ببدع العصر الجديدة ومذاهبه الهدامة وفلسفاته المتولدة، وشبهاته الخطِرة ، وأن تكون المواجهة مع ضُلال العصر، ومبتدعة الزمان تكشف عقائدهم ، وتنقض أصولهم وتُعرى جهالاتهم . ولا يختزل الجهد العقائدي في محاربة بدع قديمة ، عفا عليها الدهر ، وربما انقرض كثير منها !!

إن الجهد العقائدي السلفي يجب أن يكون أكثر واقعية ، وأن يقوم علماؤه بتحديث كتبهم، ومعلوماتهم من خلال تجديد معاني التوحيد الخالص ، وكشف الأغاليط فيه ورصد البدع والأفكار الحديثة ونقضها بمعاول الإيمان الوهاج ، ومحاولة تقريب الكتب القديمة عن طريق الشروح الميسرة ، والتهذيبات الواضحة والتلخيصات النيرة, كذا ينبغي أن يكون شكل التأليف في العقيدة أصالة ومعاصرة ، وعمقاً وتجديداً . والله الموفق .

وكذا الكاتب في السنة وعلومها عليه تحري صحة الأحاديث، وحسن عرضها وربطها بواقع الأمة، وإبراز أثرها السلوكي، والتربوي، وأن تقدم دواوين السنة الصحيحة كالبخاري ومسلم والسنن الأربع المشهورة، بلغة واضحة مفهومة قد تياسر شرحها ، وانبلجت معانيها، وتذللت قطوفها ، ولم يعد إلا التحلي بتلك القطوف،

واستطعام مذاقها من خلال التسنن المحمود, والاقتفاء المشكور .

إن السنة النبوية ملأى بالفضائل والمحاسن السلوكية، التي تلامس حياة المسلم المعاصر وتوجه سلوكه, وتنظم حياته وتسدد خطاه , فلا بد أن تكون بارزة في التأليف النبوي المعاصر، والتدريس الأثري الرصين.

ليس حسناً الإغراق في قضايا الإسناد وعلوم الحديث على حساب ثمرات السنة ومحاسنها وروائع خصالها . ولا بد أن نفرق بين التأليف لجمهور لناس والتأليف لطلبة العلم الجادين **. وقد يكون من البديع المفيد استصدار كتب سنية لكلتا الطبقتين ، تُعنى بالعلم المؤصل ، والعبارة الجذابة ، والأسلوب السهل** المذلل بلا تعقيد ، أو إيغال في المصطلحات على غرار جامع العلوم والحكم للإمام ابن رجب رحمه الله ، فإنه جمع بين المنهج العلمي المقتصد ، والمنهج التربوي الروحاني الذي هو إشعاعه السنة، وبركة هذه الآثار التي يحتاج إليها المسلم في شئون حياته .

والمعني بالدراسات الفقهية تأليفاً وتدريساً، ليكن في اهتمامه المباشر توضيح الطرائق التعبدية بأدلتها الصحيحة ، وتقليل التعرض للاختلافات الفقهية إلا عند الحاجة ، ومن الحاجة أحياناً قصرها في نطاق طلاب الفقه الإسلامي، الراغبين للدراسة الشمولية والتفصيلية المقارنة .

وفي عصرنا هذا ننبه على ما يلي في الدراسات الفقهية :

أولاً: الجمع بين العلمية والسهولة في التأليف, بحيث تكون الأفكار ، واضحة وخالية من كل تعقيد .

ثانياً: تجريد كتب الفقه من الأخبار الضعيفة والموضوعة التي تساهل بعضهم فيها, فأوردوها بلا حسبان .

ثالثاً: التقييد بأسلوب عصري مفهوم، يكون مستوعباً للأمثلة الحديثة وليست القديمة فحسب .

رابعاً: استيعاب المسائل العصرية وما يُعرف بالنوازل وتضمينها لمفردات الفقه حسب أبوابها وتصنيفاتها .

خامساً: الاعتناء بالجوانب التعبدية أو مشاكل الحلال والحرام ، وما يفيد العابد المتوجه إلى الله تعالى .

[6] مناظرة المناوئين والمشككين :-

وهذا أسلوب دعوي في غاية الأهمية ، ولم يزل الأنبياء والرسل يستعملونه مع أقوامهم والملأ المعاندين ، كمناظرة إبراهيم عليه السلام للنمروذ، والتي أسفرت عن هزيمته **قال تعالى: " فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " [البقرة:258] ،**

وقد تـألم قـوم نـوح عليه السـلام من كـثرة جداله ومناظرته لهم، حيث قـالوا " **يَا نُـوحُ قَـدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا** " [هود:32]، ومن أساليب الدعوة كما نصت عليها الآية الكريمة " **وَجَـادِلْهُم بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ** " [هـود:125]، وتسـتعمل المنـاظرة لإقامة الحجة ، وردع الباطل ، وتعرية الزيف ، وإشـاعة الحق ، وليس للمفـاخرة ، أو العنـاد! وإنما يفتخر بما فيها من مصـابيح الحق ، وينـابيع الحكمة التي تشرق على الباطل، فتذهبه بنورها ووهجها .

والحيـاة الإسـلامية المعاصـرة، وهي تمـوج في بحر متلاطم بالملل والثقافـــات، في أمس الحاجة إلى أسلوب المناظرة العلمية ، والجدل الفكـري ، لتقوية جنـاب الإسـلام ، وإعـزاز ركـائزه ، وكشف الخلل والزيف العلمي والثقـافي, وقد نـاظر رسـولنا صـلى الله عليه وسـلم المشـركين والمسـتكبرين في مواقف كثـيرة، مما يـدل على أهمية هـذا البـاب الـدعوي، وأنه يتحتم على الأمة الإعـداد له ، وتهيئة الحذاق لخوضه وشق طريقه. فالمناظرسـلاحه العلم والبصيرة ، ودرعه قوة الحجة وسرعة البديهة ، الـتي تسـبق للـدليل ، وتكتشف مظـان ضـعف الخصم ، فتسـدد إليه السـهام من كل حـدب وصـوب فتشل تفكـيره ، وتوقف زحفه ، وتريه بينـات الله تعـالى ،

وأن الحق أبلج ، والباطل لجلج ، ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله .
يجب أن تعتـني جامعاتنا ومدراسـنا بأسـلوب (النظـار العلمي) وأن تُـربى ناشـئة الـدعاة عليه ، ليعظم حقهم ، وتعلو مكـــــانتهم ، وكم من حامل للعلم ، وحافظ لأصـــوله ، تخونه صـــفات المنـــاظر الحقيقية ، فيهبط ما عنـــده من الحق في عيون الحاضرين .

والعالم الجهبذ ، وهو يلقي دروسه، لا يغيب عنده تعليم تلامذته أساليب الحوار وإقامة الحجة والإقناع ، وإن يـــدربهم على النقد والمراجعة والتعقيب ، لكي يعدهم للحوارات الجادة ، والمنـاظرات المهمة . كما كـان يصـنع العلامة ابن سـعدي والشـيخ ابن عـثيمين رحمهما الله .

وفي الزمـان الحـالي تشـتد الحاجة إلى المنـاظرة، لما يصـوَّب تجـاه الإسـلام وأهله من تخرصـات وأكـاذيب، يشـنها النصـارى واليهود وأعوانهم ، فلقد اسـتطالوا على القـرآن وتكلمـوا على نـبي الرحمة ، وخاضـوا في التعـاليم الربانية ، إفكـاً وظلمـاً وعـدواناً، ووسَـموا الإسـلام بالإرهاب ، وأن كتابه العزيز ، يغذي الإرهاب ويحرض على الكراهيـــة! إلى آخر ذلك المسلسل الـــذى لا ينفضـــي. فـــوجب على أهل العلم التصـــدي لهم ودعوتهم إلى الحوار والمناظرة.
قـال تعـالى: " **قُـلْ يَا أَهْـلَ الكِتَـابِ تَعَـالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَـوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُـنَا بَعْضـاً أَرْبَابـاً مِّن دُونِ اللَّهِ** " [آل عمران:64]، إن الإسلام بدينه الراسخ، وفكره المبين قادر على الصمود ونسف كل أعمـدة الباطـل، لأنه الـدين الحق والشـرع الخـاتم ،

والملة المهديــة، والصــراط المســتقيم ، فلا يمكن هزيمته أوالنيل منه ، أو إسكات أهله.

إن حملته من العلماء الربانيين وأتبـاعهم ليشـمخوا بالفخــار والعــزة ، وهم ينتمــون إليه ، أو يســتدلون بوحيـه, أو يمثلـون اتجاهه ، لأنه دين العـزة والسـمو والجلال ، **قال تعـالى:" وَلاَ تَهِنُـوا وَلاَ تَحْزَنُـوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"** [آل عمـران : 139] **،** وقـال تعـالى:" **وَلِلَّهِ العِـزَّةُ وَلِرَسُـولِهِ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَـافِقِين لاَ يَعْلَمُـونَ "** [المنـافقين:8]**،** مـاذا يريد الأعـادي من كتـاب سـما شرفه " **وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ** " [ص:1] وبزغ نـوره ، وتعـاظم تـابعوه ، إذ حلّـوا في المنــازل الرفيعة ، وتربعوا على المطايا الوثيرة ، فخـالطتهم السـعادة ، واحتــواهم الضــياء ، وصح منهم المقصد والهــدف ، فسـاروا على خـير سـبيل ، واتصـلوا بـأعظم دليل " **ذَلِـــكَ بِـــأَنَّ اللَّهَ مَـــوْلَى الَّذِينَ آمَنُـــوا وَأَنَّ الكَـافِرِينَ لاَ مَـوْلَى لَهُم " [**محمــد:11]، إن باستطاعتنا هزيمة الغرب الكـافر ثقافيـاً وفكريـاً لأن المسـلمين على قاعـدة صـلبة لا تخدشـها المعـاول مهما عظمت وتــدافعت، وها هو المد الإســلامي منذ فجر التــاريخ المحمــدي على صــاحبه أزكى الصــلاة والتسليم ، صامد صمود الجبال الراسيات ، لا تخيفه الاتهامــات ، ولا تضــره الأباطيل والتهجمــات ، وكل الذين حـاولوا ضـره وإعاقته بـاءوا بالخيبة والهزيمة ، واجتـاحتهم قـوى النـور الإسـلامي وانتهـوا إلى درَك سـحيق ، وسـقوط فظيـع. " **كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** " [المجادلة:21]**،** ما يضير الغرب الكافرــ وهو يحـارب الإسـلام عسـكرياً، ويحتل أراضيه وثرواته ـ أن يلجأ إلى الـنزال الفكـري

والعقائدي؟! لننظر أي الفـريقين أهـدى، وأقـوم قيلاً !!
لقد قـالوا الكثـير عن الإسـلام، وسـلطوا ألسـنتهم بالسموم الفاسدة ، والأفكار الناقمة، فما أفلحت في ارتـداد أهل الإسـلام ، أو شوشت عقيـدتهم ، بل ما زادهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً . إن الغرب وهو يمتلك العلم المـادي، والمدنية الباذخـة، ويـدير الترسـانة العسكرية الهائلة عاجز عن مواجهة الفكرالإسلامي ، ويعيش (عقـــدة النقص) منه فهو غـــرب ملحد ، وكتابهم محرف ، وعلمـاؤهم متناقضـون ، ورعايـاهم يائسـون ، فـأنى لهم الثبـات والإقـدام أمـام جحافل الحق الربانى ، الذي رُضُّـع بـذخائر القـرآن، وجـواهر السنن والآثار، المحمولة على عواتق جهابـذة الملـة، وفقهاء الذكر والشريعة .
فما سـقط إسـلامي، ولا ضل مهتـدٍ ، ولا خـاب فقيه متجـــرد! وهم يـــرددون في كل صـــلاة ، بل في كل ركعة " **اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْـتَقِيمَ (6) صِـرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ " [الفاتحـة:5-6]،** فهـذه الأمة ، هي الأمة المهديـــة, والمنُعَم عليها بـــالنور، والرحمـــة، والنجاة .
فما يروم منها أعداؤها، وقد سـقطوا في كل مكـان، وهزموا فى محفل ، وصُرِعوا فى غير ما موقف!!
" **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُـلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُـوا فِي الحَيَـاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْـهَادُ "** [غـافر:51]، إنهم وإن عظمت أسلحتهم ، وتقـدمت مـدنيتهم، يحسـون الهزيمة أمـام كل ما هو إسـلامي ، فلا يجـرؤون على المواجهة والمحـــاورة **، وقد دعـــاهم الشـــيخ الداعية أحمد ديدات رحمه الله ، رائد النظار الإسلامي العقائدي ، عدة مرات** ، وكتب بـــذلك إلى بابا الفاتيكـــان ، فخنس واختفى، مع أن الدولة

بأيـــديهم ، والعلم في ركـــابهم!! ولكنهم قـــوم لا يجـرؤون! جبنـاء عقائـدياً، وثقافيـاً فـأنى يكـون لهم تقـــدم ومواجهة ؟! " **إِنَّ الَّذِينَ يُحَــادُّونَ اللَّهَ وَرَسُــولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (20) كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُــلِي إِنَّ اللَّهَ قَــوِيٌّ عَزِيــزٌ** " [المجادلة:20-21]، وفي السنتين الأخيرتين ارتكب الغـرب خطـأً فادحـاً، سـيدفع ثمنـه، ألا وهو الهجـوم الصاغر على رسولنا الكـريم صـلى الله عليه وسـلم، وقد تبنت ذلك دولة الــدانمارك الذليلــة، الــتي جبن زعماؤها ومثقفوها من مقابلة بعض الوفــود العربية ، فضلا عن الوقــوف الشــجاع أمــام علمــاء الإســلام ومفكريـــه، أو الـــبروز لوســـائل الإعلام بالحجة والبرهان !! وقد قيل إن تلك الهجمة الحاقدة ، كانت تتم برعاية الكاهن الأعظم باباهم ، الـذي لا يسـتطيع أن يقف أمام عامي مسـلم موحـد، ولما وُوجه بـذلك نفى وتبرم ! يأبى الله تعالى إلا أن يـذل من عصـاه ، ويكتب الذلة و الصغار على من خـالف أمـره " **وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ** " [الحج:18].

إن المنــاظرة العلمية والفكرية فن دقيق ، يجب على علمـــاء الأمة تعلمه وتفهمه ، واســتكمال آدابه وشـرائطه ، إذ ليس العلم كافيـاً، في اسـترواحه، ولا جمع المصــنفات قــادرة على بلوغه ، بل يجب على كل عـالم بصـير أن يقـرأه حـقَّ قراءته ، ويسـتطعم جوانبه ، ويعيش معانيه، ويتحسس أسراره وفرائده ، ويتذاكره مع ندمائه وتلامذته .

إنَّ الحق وقد أمتع الله به هـــذه الأمة ، لابد له من حملة أكفاء ، ومن فقهـاء بصـراء ، يحـاجون به ، ويذبون عنه، ويناظرون عليه ، كما صـنع أحمد رحمه الله في فتنة خلق القرآن نـاظر المبتدعة ، وهـزمهم في غــير ما موقــف، وهكــذا كــان علمــاء الإســلام

كـالغزالي وابن حــزم والنــووي والخطيب وابن تيمية وابن القيم وغـيرهم، سـجلوا أروع الوقفـات في كبح جماح المعتدين والمستكبرين .

وليلعم أن المنـــــــــاظرة العلمية تتوجه إلى طوائف هم :

أولاً : الكفـار غـير المسـلمين ، يُـدعون إلى الإسـلام ويُنـاظرون على بـاطلهم المتمسـكين بـه، وتُخـرص ألســـنتهم المتطاولة بالحجة الصـــحيحة ، والمنطق الســوي ، وهــذا ما ينبغي الاعتنــاء به هــذه الأيــام، مشافهةً وكتابةً وإعلاماً .

ثانيـــاً : الطوائف الضـــالة من المســـلمين كالمعتزلة والأشاعرة والصـوفية والرافضة والخـوارج ينـاظرون لردهم إلى الصواب، ودحض شـكهم وتخبطـاتهم،وقد أبلى في ذلك شيخ الإســلام ابن تيمية رحمه الله بلاءً حسـناً ومصـنفاته شـاهدة بـذلك ، كما نبه على ذلك ابن حجر في الدرر الكامنة .

ثالثاً : الأفكار الحديثة التى يلغي بعضـها الإسلام نحو العلمانية والليبرالية والحداثة والقومية ، فهــذه تــبرز أحيانا ، وتحتاج إلى من ينقضها ويكشف أباطيلها .

رابعاً: مناظرات العلماء المهتدين في مســائل فرعية كما كان يحصل بين أحمد والشافعى ، وسـفيان وبين الباجي وابن حزم ، وابن حجر ، وابن تيمية وخصـومه وقد تنج عن ذلك مصــنفات ورســائل ، ومجلــدات لا تحوي سوى مسألة واحدة ، كثر فيها النقاش، وعظم فيها الخطب ، وهـذا النـوع لا ينبغي الإيغـال فيه على حساب ما تقدم ، بل يُعتــنى أولا بالمخالفة عقائــديا ، وبأرباب الملل الفاسـدة ، ومن يثـير الشـبهات تجـاه الإسلام عبر كتاب أو قناة أو محاضـرة ، كما هو واقع هذه الأيام ، والله المستعان .

وفي عصـــرنا الحـــالي، نظـــراً للطفـــرة الإعلامية، واتساع وسـائل الاتصـال ، وثـورة المعلومـــات ، وظهـــور فضـــائيات صـــاخبة، وقعت مناظرات سياسـية وعقائدية وفرعية، وقد كـــان لأهل الســـنة دور كبـــير، في تعرية بعض الفـــرق الضـــالة كالرافضة ، حيث فجـــرت قنـــاة المستقلة قنبلة بتبني (مناظرة بين السنة والشـيعة)، أظهر الله فيها راية الحق ونصر مشـــايخ الســـنة ، وفضح جهلة الرافضة الـــــذين لا علم لهم ولا حجة ، وقد تـولى زمـام ذلك الشـيخان الفاضـلان عثمـان الخميس وأبو المنتصر البلوشي ، وقد أبليا بلاء حسناً ، وصـــمدا صـــموداً مشـــرفا, أخـــزى الله به رؤوس البدعة والضلالة ، واهتـدى أقـوام مبتلـون بـالرفض ، مما جعل بعض زعمائهم الحاقدين، يقول:- (إن هذه المناظرات تفرق المسلمين ، ولا خير فيها)
لما انكشفَ دجلُهم ، وخـاب سـعيهم ، والله لا يصـلح عمل المفســدين. وقد قـــال بعض كتـــاب الأنـــترنت البـــارزين عن مـــذهب الرافضة بعد فضـــيحتهم في المستقلة (مـذهب الشـيعة مـذهب يمكنه أن يعيش فى الســراديب ، وفي الظلام حيث الهـــواء الفاسد ، فـــإذا ظهر إلى النـــور ، واستنشق الهـــواء النظيـــف، يموت فوراً)
ومن المـذاهب المعاصـرة ، والـتي تضـيق بالإسـلام وتعاليمه المذهب العلماني والليبرالي اللذان يروجان للحرية المطلقـة، وهما من نفايـات الغـرب الصـليبي الـــذي صـــبهما على بلاد المســلمين, فنبتت لهم نابتة خبيثة ، ترعـرت وتنـامت حـتى بلغت مـوطن القيـادة في الإعلام والتعليم والاقتصـــاد ، ومكثـــوا أحقابـــاً ، يـديرون الأمـور، ويمكـرون بالأمة ، ويلغـون الإسـلام من مسـلكهم ، حـتى أفـاقت الأمـة، وصـحا علماؤها

وازدهت صـحوتها العلمية و الفكريـة، الـتي أبـانت عوارالعلمـــانيين وأذنـــابهم, وحـــذرت من كتبهم ومحاضراتهم وقنواتهم عبر مدافعة شديدة , ومعارك ملتهبة , لا يـــزال أوارها باديـــاً، تحتـــاج لمزيد من التكتل العلمي لمشـيخة الإسـلام، ومزيد من اللحمة الفكرية للمؤسســات الشــرعية حــتى تتغلب على العدو الرابض في ديارنـا، ويعبث بمقـدراتنا وثرواتنـا, مدعوما من الغرب الحاقد ، والشرق النـاكث ، حـتى يصـــيب هدفه ، أو يحقق مبتغـــاه ، ولكن هيهـــات هيهات!! وقد استبانَ الطريق ، ونجا الغريق ، وعُرف العـدو من الصـديق ، والله غـالب على أمـره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

[7] إعداد الأجيال العاملة :

وهذا عنصر أساسي وتفاعلي مع واقع الأمـة، وما يُراد لها من قفزة شديدة تتجاوز بها أسقامها وآفاتها. وربما كان هذا الجانب حصيلة الجوانب المتقدمة.

والأثر المنتظر من نشر الـــدعوة، والـــذب عن الإســـلام ، وإصـــدار الكتب النافعة ، ومحاربة البـــدع والشبهات, ولكنني أفردته بالخصـوص لإفهـام الجهلة والمنغلقين ، أن رســـالة العـــالم عظيمة ، وبعيـــدة المدى ، تتجاوز الحـدود ، وتتخطى الآفـاق لتصل إلى بر الأمان ونسائم الإيمان ،ورفارف الجنان .

إن العــالم الفقيه ، وهو يشـــرح متنــاً علميـــــاً لا يغيب عنه أن يربط درسه بواقع الأمة ، فيأسى لمآسيها ، ويفرح لسعادتها ، ويشارك في همومهـــا، مؤلفا بين طلابه ومصـــلحاً لقلـــوبهم، ومتـــأملاً لســـلوكهم ، وحاديـــاً بهم إلى مســـتقبل الإســـلام، والأمل المنشـــود، والنتيجة المصـــيرية. " **وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُـورُونَ " (172) وَإِنَّ جُنـدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ [الصافات:171-173]،** إن تربية الأمـــة، وإعـــداد أجيالها ضـــرورة تاريخية وإصـــلاحية واستراتيجية ، تنطلق من ذكرٍ وهـاج ، وهـدف سـام، وواقع أليم ، أما الذكر الوهاج فيصدح بقول البــاري : " **وَأَعِـــدُّوا لَهُم مَّا اسْـــتَطَعْتُم مِّن قُـــوَّةٍ** " [الأنفــال:60]،وقوله تعــالى: "**خُـذُوا مَا آتَيْنَـاكُم بِقُوَّةٍ** " [البقرة:63]،وقوله تعالى : " **قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً**" [التحـريم:6] وأما الهـدف السـامي، فهو تعبيد الخلق لربهم وخالقهم تعالى، وهــذا لن يتم إلا عبر علم وتعليم ، وإصلاح وتقويم .

و أما الواقع الأليم ، فهو دافع للكفـــاح المســـتديم ، والتحـرك السـريع لانتشـال الأمة من بـراثن الضـياع،

والشهوة والغفلة ، لا سـيما شـبابها المـرتقب وجيلها المنتظر ، يـــربى على كتـــاب الله ووعيه وتـــدبره ، وعلى حمل السنة ونشرها والتمسك لها ، فهما عماد النجاة ، وسبيل الفوز والنجاح .
" **وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيماً فَـاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُــوا السُّــبُلَ فَتَفَــرَّقَ بِكُمْ عَن سَــبِيلِهِ** " [الأنعام:153]، إن مُعِّد الأجيال ، وافر الهمة ، مـاض العزيمة ، عميق التربية ســـــــــمي العلم ، رقيق الموعظة ، يبــذل بلا حســاب ، ويبــادر دونما ثمن ، ويســــعى بلا كلل ، قد اســـــتحلى الطريق ، وركب المضـيق ، ولم يبـال بظنـون الصـديق. " **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّــيْطَانُ يُخَــوِّفُ أَوْلِيَــاءَهُ فَلاَ تَخَــافُوَهُمْ وَخَــافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ " [آل عمـــران: 175]**، إن إعداد الأجيال ، وصقل أرواحهم ، وتزكية عقـــولهم، تتطلب قـــدراً وســـيعا من الجد والعلم الشـرعي، والبصـيرة بالتربية والاجتمـاع ، والتـاريخ ، ومعاينة الواقع، وجـرد سـير المصـلحين من الأنبيـاء ، وأتبـاعهم المهـديين ، الـتي حكاها القـرآن بأسـلوبه الرائع ، وقصصه الجميل ، وعـبره المسـتعذبة، الـتي تدرك بالتأمل الشديد ، والفكر العميق . قـال تعـالى: " **كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ إِلَيْـكَ مُبَـارَكٌ لِّيَـدَّبَّرُوا آيَاتِـهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ " [ص:29]**.
وقال عز وجل: " **لَقَدْ كَـانَ فِي قَصَصِـهِمْ عِبْـرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ** " [يوسـف:111]، وقـال تعـالى :" **فَاقْصُـــــصِ القَصَـــــصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** " [الأعـراف:176]، إن تأمل الكتـاب العزيـز، والسـنة المطهرة، ورصد حركـات السـيرة النبويـة، كـافٍ فى إنماء عقل المربي ، وزيادة رشـده ووعيه ، وتبصـرته بواقعه ، وما ينبغي أن يئول إليه مستقبله ، وكل ذلك من معالم الـدعوة إلى اللـه، والحـرص على الجيـل،

والإشفاق على مصيره . " **أَفَلاَ يَتَـدَبَّرُونَ القُـرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا "** [محمد:24]، إن واقعاً يعجّ بالمناكر الضخمة ، والصد الكبير، عبر وسائل إعلام هابطة، وفضائيات ماسخة ، وثقافات هادمة، لجدير أن يبعث في علماء الأمة وجهابذتها، روح العمل والجد والمثابرة ..

وأكبرت الذين مضوا وعما شق ما سألوا

****

وعن غاياتهم رغم اعتساف الدهر ما نكلوا

****

ومن دمهم أضيئت في دياجي الحيرة الشعلُ

لا نريد من العالم أن يكون معلماً جامداً ، يسير بلا فقه ، ويرشد بلا وعي، ويعالج دون تربية ، ويوجه بلا اعتبار! بل نريده أن يحوي ذلك كله ، ويسير كسيرة أعظم الخلق تربية وإصلاحاً ، الذي علم صحابته كل خير وأرشدهم لكل بذل ، وعاش همومهم وأحزانهم ، وخالطهم كالسمير والصاحب ، وأصغى لهم كالمستمع والمتشوف، علم الرجال وشاركهم، وحدَّث النساء وأنصت لهم، ولاعب الصغار وداعبهم! انظروا إلى سيرته صلى الله عليه وسلم كيف احتوت العلم الأصيل ، وضمت الأدب الكريم ، والسخاء العجيب، ولم تفتها النصيحة الصادقة ، ولا التربية المخلصة ، ولا التحرك الدؤوب ، الذي يُخلط بدعوة مرققة ، ووعظ مستنير، وإصلاح متدفق، وفقه مسترشد ، من خلال نفس كبيرة ، ويدِ حانية، وحزم رشيد ، وتواضع جم !

ما أقول في سيرة زاخرة عطرة ، قد تلألأ الحق فيها، واستنارت فضائلها ، وبذخت محاسنها ، ولمعت مواعظها ، وتضوعت

معاطرهـا! هي منهـاج الـدعاة ، ومدرسة العلمـاء ، وسلوان المصلحين "**لَقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَـوْمَ الآخِـــرَ وَذَكَـــرَ اللَّهَ كَثِـــيراً"** [الأحـــزاب:21]، والعجيب في هذه الأيـة، أنها واردة في سـياق غـزوة الأحزاب الرهيبة ، التي طوق فيها المجرمون المدينة النبويـة، وحاصـروها الحصـار الشـديد، فثبت رسـولنا صــلى الله عليه وســلم الثبــات الأكــبر ، واستبسل الاستبســـــال الأعظم، وما فر ولا أحجم ، ومعه قد اصـطف المجاهـدون الأشـاوس ، وشـاركه الأفـذاذ الصوارم " **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَـالُوا هَــذَا مَا وَعَــدَنَا اللَّهُ وَرَسُــولُهُ وَصَــدَقَ اللَّهُ وَرَسُــولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانــاً وَتَسْـلِيماً "** [الأحــزاب:22]، كــذا هي الآية في ســياق الجهــاد والصبر ، ثم إنها تنسحب على سائر أحواله وشرائعه عليه الصلاة والسلام، ومن يخصها بالعبـادات فحسب فهو مقصر في فهمهـا، مختل فكـره ، ضـيقة نباهته ، والله الموفق.

إن جيل اليـوم مهـدد (بالكارثية الأخلاقيــة)، والـذبول المعنـوي بسـبب إفـرازات الإعلام المنتنة ، وقد اجتث منهم طوائف متــــاكثرة، وجماعات متزاحمة ، ليس لها منجـاة إلا في الإسـلام ، والتغذي على مائدته، واسـتطعام حلاوتـه. لأنه نـداء الــروح ، وحــديث القلب ومنتهى الســعادة الأبديــة، وطريق ذلك الخطاب الدعوي الـراقي، الـذى يلامس قضاياهم وأشجانهم ، ينمقه علماء الإسـلام ويقدمونه أســاور لامعة ، ولآلئ ســاطعة على جــبين هــؤلاء الأجيـال ويسـتخرجونهم من ظلمـات التيه والرمـاد، إلى أنــوار الهـدى والحق والجمـال ، ومن ثم يكـون برنـامج التميـيز والانتقـاء، الـذي يسـتوحي القـادة ،

ويرشح الحفاظ ، ويعد البسلاء، ويهيئ الجنود الفاعلة في كل ميـدان, حيث اتضح لكل أنـاس مشـربهم ، واخضوضـرت مـواهبهم ، فلم يعد إلا العمل والمسارعة والاحتساب ، قال تعـالى : " **فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ**" [المائـدة: 148] وقـال عز وجـل:" **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَـدْعُونَنَا رَغَبـاً وَرَهَباً** " الأنبياء:90]،

ثم إن إعداد الأجيـال العاملة يكـون من خلال الوسائل التالية :-

أولاً: النهضة العلمية والفكريـة، التـي تـرتقي بالخطـاب، وتصـحح، المسـار, وتفند التهم والتشككات، مدرعة بركائز الجودة والوعي والإقناع.

ثانياً: التربية القرآنية المشـرقة، الـتي تظلل الجيل بظلال الإيمان الدافئ، والباعث على الـتيقن والعمل والمسـارعة ، **قـال تعـالى**: " **إِنَّ هَـذَا القُـرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** " [الإسراء:9].

ثالثاً: التعبئة الروحية بمكنونـات الإيمـان ومزاهـره ، والـدعم السـخي وروافـده ، والتشـجيع المتواصل ومزامره .

رابعاً: سـوق النمـاذج الرفيعـة, مما حكى القرآن ، أو نوهت به السنة ، أو روته السـير والـتراجم، وإن العقل ليقف مـذهولاً ، ومعجبـاً بما تمتعت به تلك الأخبـار واستعطرت بصادق القصد والحركة والجهـاد .

جمال ذي الكتب كانوا في الحياة وهم
بعد الممات جمـال الكتب والسيـر

قـال تعـالى عقب سـرد قصة نـوح عليه السـلام (**تِلْـكَ مِنْ أَنْبَـاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْـكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْـلِ هَـذَا فَاصْـبِرْ**

إِنَّ العَاقِبَـةَ لِلْمُتَّقِينَ "[هـود:49]، وقـال في أصـــحاب الكهف " **إِنَّهُمْ فِتْيَـــةٌ آمَنُـــوا بِـــرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى "** [الكهف:13]**،**

<u>خامساً</u>: صياغتهم ضمن مشـاريع مؤسسـاتية، في العلم والتربية والـدعوة والفكـر, لتتفجر طاقـاتهم ، وتســـطع مـــواهبهم، ويستشـــعروا فضـــيلة العمل الجمــاعى المنظم ، وأنه لا يقــارن بالجهد الفــردي المبعثر ، وقد يكـون مفتـاح الانطلاق الـدرس العلمي أو المحاضرة الشهرية ، أو الموقع الإلكـتروني، والله الموفق .

إن واقع الأمة المشين، يحتم على علمائها مزيداً من الجهـد، والعمـل، واليقظـة، وأن يكـون ضـمن استراتيجيتهم وتحـولاتهم، إعـداد هـذا الجيـل، وبنـاؤه إيمانيـاً وعلميـاً وحضـارياً ليقـاوم الزحف الغـربي، المتمثل في طلب الهيمنة والاسـتعمار, والتسـلط على الشعوب الضعيفة .

إن الإعـداد الحضـاري لشـباب الأمة وشاباتها ضرورة إصلاحية وتاريخية مفروضة على العلمـاء الجهابـذة ، الـذين يتـألمون للتقهقر المسـيطر على واقع الأمة في أكـثر منـاحي الحيـاة ، ومن المؤسف أن يعتقد بعضـهم أن هذا ليس من صميم عمله ، وإن المعني به حكومـات ، أو مؤسسات دولية !!

يا عجباً من أمة وهبها الله تعـالى مقومـات العز والارتقاء والبطولة ، كيف يجنح علماؤها وسادتها إلى الانعزال والخنوع ! وكـأن الخطـاب ليس لهم والمجد ليس من سِكتهم، وحمل الأمة ليس من واجبهم !!

ألم يقل الله تعالى :" **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ تَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**" [آل عمـران:110] وقـال عز وجل : " **هُـوَ أَنشَـأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْـتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْـتَغْفِرُوهُ**" [هـود:61]، وقـال: " **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَـامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَـوْا عَنِ الْمُنكَـرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَـةُ الأُمُـورِ**" [الحج:41]، وقال : " **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْـرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** "[محمد:38] .

وقـال تعـالى: " **وَأَنزَلْنَا الحَدِيـدَ فِيـهِ بَـأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُـرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ" [**الحديد:25].

إن العالم الحي المستشعر لواقع أمته, لا ينبغي له أن يشارك في مصادرة وعي هذه الأمة ، وجريمة التغييب والتوهين والاستلاب ، الجاثمة على صدورهم من قبل الغرب وأذنابه.

القاتلون نبوغ الشعب ترضيةً
للمعتدين وما أجدتهم القربُ

ولــذا مســئولية أهل العلم عظيمة ، ودورهم شــديد لمعالجة الواقع ، والـــــدفع بالطاقــــات إلى الجد والاسـتثمار ، حيث يواجهـون حربـاً شرسة في أكـثر من مجـال ، فاسـتوجبت المقاومة المشـروعة للنهج التغريبي والساقط. المضروب على كاهل المسلمين ، والمـدعم بوسـائل القمع والكبت والحصـار, الـتي تُغطّى بأغلفة الإصلاح والتنمية، والبناء.
ولم يزل التخلف والانحطاط ضاربا أطنابه في أرجـاء المعمـــورة ، رغم الـــثروات الهائلة ، والمقومـــات الخارقة الـــتى يعجز الوصف عن تقـــديرها ، وادراك امتيازاتها!!
فـإلى أي حـال وصـلنا وعند أي نقطة انتهينـا؟! أمم مسلمة، ساجدة قانتة، لديها خير كلام وأزكـاه، قـرآن حكيم مرتل، وسنة عالية مرشدة، وتـاريخ نـابض حي !! ولكنَّ الواقع متحد لــــذلك كله !! فهل يُســـتنجد بالكتاب ، أو نستصرخ بالتاريخ أو نستغيث الأبطال؟!

لـولا مست أذنَ الفـاروق خيبتهــم
لـكّـدر الـصفـو في جناته الكمـدً
أو كان يدري صلاح الدين ما اقترفت
تـلك العلـوجُ لضجّ الفـاتح النجـدُ

وليس توصـيف الواقع المهين جلـداً للـذات، ودعـوةً للكسل والتراخي أو حملاً للعزوف في ظل تحــديات ضـــخمة ، وأشـــواك مســتعرة كلا ! بل هو وســيلة

لاستنهاض الهمم ، وحفز العلمـاء الجهابـذة ، وأربـاب الرسوخ الفقهي لينطلقـوا في حركة الحيـاة عـاملين ومجاهــدين ، وصــانعين وومؤسســين ، قد امتطــوا صـهوة الجـد، وعلـوا فلك العزيمة .. يحـدوهم الأمل ويؤزهم المَضاء ، متـوكلين على ربهم، راجين فضـله وإنعامه ..

لأستسهلن الصعب أو أُدرك المنى
فما انقادت الآمــال إلا لـصابرِ

هذه الحياة بتحدياتها وشراستها تفتقر للعالم الصـابر، والمثابر المستحمل.

قال تعالى : " **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُــرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً** " [آل عمران:120]

وقـــالت الرسل لأقـــوامهم " **وَلَنَصْـــبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا**" [إبراهيم:12]

إن العملية البنائية والإعدادية للأجيــال، تــأتي ضــمن سـياقات معقـدة، ومواجهـات سـاخنة تعيشـها أمتنـا، فمن نير الاحتلال ، إلى تضخم البطالة والفقر ! ومن نتانة الانحلال إلى ســطوة القمع والاســتبداد، و من الإفلاس الطــاغى إلى المظــالم المرتكبة ...! والله المستعان .

ما كــأن هــذه الرســالة الخاتمة جــاءت لتطهــير الحياة من أسقامها، أو غـرس معـالم العـدل والإخـاء في نواحيها ! لقد غطت برحمتها غشــاوات الجهالة ، وعمت بأنوار عدالتها ظلمات الحيف والفجـور، فـأين نحن من ذلك ؟!

يا قاتل الظلم صالت ها هنا وهنا
فظائع أين منها زندك الواري؟!

إننا رغم عشعشة الظلم والتخلـــف، لننظر بـــأنوار القـرآن والسـنة، وعـبر التـاريخ، ونسـتيقن أن المجد للإسلام ، وأن العزة لأوليائه، وأن القوة لله جميعاً.
ومما يثبت أمتنا ويزيد علماءها قـوة وصـلابة ما يلي :-

1. **الحسم القرآني**: في أن هذا الدين منصور، وأن شريعته حاكمة ، وأن عباد الله هم الرابحون في النهاية ، رغم البلاء المسيطر والقمع المستحكم، " **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** " [غافر:51]**،**
2. **المدد الإيمانى المصبوب من القرآن والسنة**: ودوره في إشعال نار الحماسة والتحرق على هذا الدين ، مع ما في ذلك من تثبيت على الطريق, وسعادة روحية بالوصول والاطمئنان, وهذا ما لا تجده فى دين سواه .

قال تعالى : " **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** " [إبراهيم:**28]** وقال تعالى: " **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** " [النحل:**128]**

3. **الرعاية الربانية لهذه الأمة**: حفظـاً وتقوية وتأييداً قال الله سبحانه وتعالى : " **ذَلِكَ بِـأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ** " [محمد:**11]**
4. **النماء البشري والمعنوي** الــذي تملكه أمة الإسلام, متجاوزة به كثيراً من الأمم الأخرى .
5. **الموروث التـاريخي والثقـافي**: الـذى هو مفخـــرة المســـلمين والعـــرب إبـــان الحكم الإسلامي والحضـارة المصـاحبة له وامتـداداتها النورانية على البشرية كافة.

أين الرشيد وقد طـاف الغمــام به
فـحين جــاوز بغداداً تحداهُ
وانزل دمشق وسائل صخر مسجدها
عمــن بناه لعل الصخر ينعاهُ
وإن تراءت لك الحمـراء عن كثبٍ
فسائل الصرح أين العز والجاه
هذي معالم خـرص كل واحــدة
منهــن قامت خطيباً فاغراً فاه
واللــه يعلم مـا قلبت سيرتهــم
يومــاً فأخطأ دمع العين مجراه

6. **الوجـود الأممي والتـاريخي لهـذه الأمة**: وأنها ليست بمنـــأى عن عجلة الحيـــاة ، وإن كـــانت تتقالها الأمم بســبب هوانهـــا، وتخلفها العلمي والحضاري والتقني.
7. **الملامسة المباشــرة لأحــداث الحيــاة**, وتجلياتها بسبب أمجاد غابرة ، وعــداوة تاريخية ، وثـــروات باذخة ، يتطلع إليها العـــالم أجمع ، ويكفي أن أكــبر منطقة في العــالم للنفـــط، (الــذهب الأســود) هي منطقة الخليج ، الــتى يتهارش عليها اللصـوص الـدوليون ، وما احتلال العراق العظيم إلا نوعا من ذلك!!

وفي منظومة (تحية للفضـائيات العربية) قال بعضهم:

وسرقوا البترول ** واستوهبوا الموانى والمزارعا والمواقعا

8. **التخوف الغربي المسـتديم من الإسـلام وأهله**: رغم التسلط والظلم الفادح ، وإغــراق المنطقة بالصراعات.. ومع ذلك يخشــون يقظة الإســــــــلام ، وانبلاج نجمه الآفل ، وعودته للســيطرة الدولية الــتي لن تكــون بــالحروب

الظالمة ، أو الأفاعيل الانتقامية ، والاستباحة المسوَّغة كلا! بل بميزان العدل والقسطاس المستقيم كما قال تعالى: " **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**" [المائدة:8] وماذا جنت البشرية من سيطرة الغرب الصليبي، إلا مزيداً من الحروب والغارات والاستبداد الدائم ، والتدهور الاجتماعي والمعيشى ، والتهام القوي للضعيف ونهب خيرات الدول المستكينة وفظائع أخرى، يندى لها الجبين، ويستغرق الحديث بها مجلدات وأسفاراً طويلات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

9. **الزخم الدفاعي لدى طوائف من هذه الأمة**: ، بحيث لم يعلن الاستسلام شعبياً ، بل لا زالت الأمة تملك عجائب من الدفع، والبذل، والتضحية، والواقع منارة مضيئة على ذلك . فها هي فلسطين تضحيات متواصلات, وأفغانستان يئن النيتو من ضرباتها، والعراق يكسر الغطرسة الأمريكية , ويواصل تأديبه لكل معتد أثيم، هذا **على الصعيد الجهادي.**

أما **على الصعيد العلمي والفكري** ، فلا تزال الأمة تخرج علماء مهرة، في كل مجال، يحفل الغرب بهم فى جامعاته ، ويساومهم على دينهم وقيمهم .

ومن هؤلاء متخصصون شرعيون ، ينشرون الحق، ويذبون عن دين الله ، ويتفاعلون مع واقعهم بكل حكمة واقتدار.

ومنهم مفكرون إسلاميون يستوعبون قضايا العصر وأفكاره المختلفة ، ويحسنون التحليل العقلي ، ورصد الظواهر الجديدة ، فيأخذون خيرها ويدفعون أضرارها.

ومنهم كُتـاب مُجيـدون ، حملـوا رسـالة القلم، فـأمتعوا به أمتهم، وتصـدوا لحملات الأعـداء ، وضـــاعفوا من نشـــاطهم، تحقيقـــا، وتأليفـــاً، وتدقيقاً .

ومنهم **صـاغة الجهـاد الإلكـتروني** الـذين حـرروا العقل المسـلم والعـربي، من الـرق، ومنحوه الحرية المسئولة ، الـتي تثمر الجـودة، والحذق، والإبداع، فاكتسحت (النت الإسـلامية) أرجاء واسعة من الفضـاء الثقـافي ، فانتشـرت المؤلفـــات واشـــتعلت المواقـــع، وكـــثرت المـــدونات، وتـــزاحمت المشـــاركات، وبـــات النشـاط الإسـلامي ممـيزاً في هـذا الانفجـار العلمي ، وصار للأمة موقعاً موقراً ، يبرز حقها ودورها المنشود منذ أزمان غابرة .

فالحمد لله على هـذه النعمة الـتي فجـرت لنا علمـــاء وكتابـــاً ومفكـــرين ، ومتخصصـــين يسـارعون في سـبيل اللـه، ويجاهـدون علميـاً وعقليـــاً بكل ما أُتـــوه من معرفة وموهبة . ولا أدل على ذلك من تصـــنيف بعض المواقع بأنها إرهابية، ومحاولة طمسها في كل ظهور لها .. ولكنها ســرعان ما تعــود بفضل هــذا الإعجــاز العلمي ، الــذي أقض مضــاجع الــذين كفــروا، والذين استعبدوا دهورا، وصـنعوا شـروراً. قـال تعالى: " **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (15) وَأَكِيـدُ كَيْـــداً (16) فَمَهِّلِ الكَـــافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْـداً (17)** [الطـارق: 15:ـ 17] من كـان يصـــدق، أن تـــذلل الإنـــترنت مصـــاعب النشر والفكر والإنتاج، وتسـهم بدرجة كبـيرة فى ضخ العمل الإسلامي الذي بهر المطالع ، واستوقف الناظر والمتابع .

إنه من فضل الله تعالى علينا وعلى النــاس، أن خلق مثل هـــــذه الآلة الإعلامية الــــتي كسرت الحدود، ومـزقت القيـود وأوهنت من منشور مغصـوب ، ومكتـوب غـير محمـود ولا مشكور والسلام .

10. **التدين الشعبي الفطري**: لدى أقطار الأمة الإسلامية، الذي يمحو معرة الهـوان، أوالتخـريب الموجـــــــه، ففي بلد ذاق ويلات التغـــــــريب والاستعمار, ولا يزال يُقهر بموادها ومفاتنها، ينبع المد الإســــلامي ليرسي مســـــاجده المكتظة بالمصـلين ، وتؤسس جامعاته الناهضة بالعلمـاء، ويفيض جمعياته الخيرية المانحة للمحتــــاجين. فمـاذا يريد بعد ذلك العلمـاء الأحـرار والأسـاتذة الفـــاعلون، هـــاهي طلائع النصر بين أيـــديهم، وبشـــائر الفتح تلقـــاء أعينهم , ولكن لينطلقـــوا بحــزم وقــوة ، ويســارعوا كمن ســارع من أهل العلم والفقه والأثر ، وليــــدركوا نصر الله لهم ، ومعيته لعباده المتقين : **" يا أيها الذين آمنوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـــــوا إِن تَنصُـــــرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ "** [محمد:**7**] .
11. **الغرس الإلهي المفاجئ**: والذي لم يحسب الأعــداء حســابه ، حيث لا يــزال البــاري تعــالى بفضــله وحكمتــه, يغـرس لهـذا الـدين أغراسـاً مختلفة، علماً وجهاداً، ودعوة، وتربية وإصلاحاً. .

كما صح الحديث عند ابن ماجة في السنن: قـال صلى الله عليه وسلم : **(لايزال الله يغــرس لهذا الدين غرساً يســتعملهم في طاعته) .**

وقال في خبر الطائفة الناجية المنصـورة الـتي تبقى عزيزة بدينها ، مضـحية لـه، داعية لله ، صـابرة على أعاديه : **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظـاهرين ، لا يضـرهم من خـذلهم، ولا من خالفهم حتى يـأتي أمر الله ، وهم على ذلك)**
وحينما يقصر حملته من العـرب ، يـأتي الله بقـوم آخرين ، يحملونه بكل عز وتفانٍ قـال تعـالى: " **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمـاً غَيْـرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُـوا أَمْثَالَكُمْ** " [محمد:38]، وقد حفظ التاريخ الإسلامى لنا شـواهد تـبرهن على هـذه الآية ، حيث نبغ علمـاء أعـاجم ، وبز محـدثون أغـراب, وضـحى مجاهـدون أباعد ، وكتب السـير تزخر بـتراجمهم العطـرة ، وأخبـارهم المزدهـرة . ففي الجهـاد نشـاهد أمثـال صـلاح الـدين وبيـبرس وألب أرسـلان ومحمـود الغزنـوي. وفي الفقه نحو عطـاء وأبى حنيفة وابن المبارك والسرخسي . وفي الحـديث : نحو البخـاري والنسائي والترمذي. رحم الله الجميع ، وجـزاهم عن الإسلام خير الجزاء .

[8] التصدي للحوادث والملمات :

كم هي الفتن الحادثة ، والملمــات الواقعة ، التي تخيف المسلمين وتكدر عيشـهم، وربما أرعبتهم, وفــرقت صــفهم ووحــدتهم ؟!! وهذه هي طبيعة الحيـاة الـدنيا ، وأزمة الحق مع الباطل. " وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ " [الأنبياء:35] .

طُبعت على كدرٍ وأنت تريدها ** صفواً من الأقذاء والأكدارِ

ومكلِّفٍ الأيام ضد طباعـها ** متطلب في الماء جذوة نارِ

إن الحــوادث والملمــات تحتــاج إلى عــدة عوامل، لفهمها وتجاوزها بخير وعافية :

أولاً: التصدي لها بقوة وحزم .

ثانياً: التعامل معها وفق العلم الشرعي .

ثالثاً: حمل زمام المبادرة للإصلاح .

رابعاً: تنبيه الناس وإرشادهم لما ينفعهم .

خامساً: بيان الحق ولو كان مراً.

إن الحوادث قد تكون في صـورة كـروب وبلاءات ، أو حــروب وغـــارات أو فتن مـــدلهمات ، فكيف تســـتطيع الأمة فهمها ، وتجـــاوز مخاطرها ؟!! إن العامة عاجزون عن ذلك تماماً ، وأصحاب الجـاه ، أو أربـاب الأمـوال والمـراتب ، تضـيق بهم مصـالحهم ، فلم يبق إلا دور العلمــاء الراســخين ، ووقفة الأعلام الناصـحين ، الـذين يقـدرون قيمة العلم ، ويفهمـون تبعاتــه، ويــدركون غايته ومســئوليته ، وقد امتن الله عليهم بعلم فسيح ، وفكر مستنير ، وإيمان عميق هو أخلق أن يــدفعهم لحمل أمــانتهم ، وأداء رســالتهم وإدراك خطورة سكوتهم أو تغـافلهم. قـال تعـالى: " **لَـوْلا يَنْهَـاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَـارُ عَن قَـوْلِهِمُ**

الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " [المائـدة:**63**] .ـ قـال سـفيان رحمه الله : **(إن الفتنة إذا وقعت عرفها العلمـاء ، وإذا ذهبت عرفها سائر الناس)** .

إن كشف المخاطر، والتصـدي للأحـداث، واجب مهم يعيش له الجهابذة الذين ارتشفوا من الوحيين ، ونهجـوا المسـلك السـديد. ومـتى تخلـوا عن واجبهم فقد لاذوا بالخيانة ، ومزقوا ما بينهم وبين الله تعـالى من موثقٍ متين ، وعهدٍ أمين.

تأمل كيف صــنع رســولنا عليه الصــلاة والسـلام، تجـاه الحـوادث والحـروب ؟ وكيف أنه كــان طليعة القــوم ، والمبــادر للــنزال ، والصابر في الكرب، والمثبت للصحاب ؟!

تجئ غـــزوة بـــدر الكـــبرى ، فـــيرى المصـــلحة العسكرية في الخروج إليهم والــبروز لهم ، وفي أحد ثبت ثبــات الأبطــال رغم جراحه الشــديدة ، وتفــرق النـاس عنه ، وفي الخنـدق يواجه الحصـار بكل صـبر وجلد وشجاعة ، وفيه قال تعـالى: " **لَقَدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ**" [الأحـزاب:21]، إشارة بمقامه وتنويه بشجاعته . وها هو مـرة يسـمع النــاس صــوتاً في المدينة ، فيفزعــون، فيكــون أول سابق إلى الصـوت ، ويعـود مطمئنـاً النـاس ، وأنه لا خــــوف عليهم **(لن تراعـــوا ، لن تراعـــوا)**، ومقامات تصديه للأحـداث والرزايا كثـيرة, تـدل على بصــيرته بــدور العــالم والقائد ، وليعلم أتباعه وورّاث الأنبيــاء، بأنه هكــذا يجب أن تكونــوا تقــدماً وبــذلاً ومسـارعة ! وسـير أصـحابه طافحة بالنمـاذج الدالة على إدراكهم لأدوارهم, وأن حملان العلم والتفقـــه، يعــني أخــذه بحــزم والتصــدي لكل خطر وبلاءٍ، ولا

يحسن ذلك إلا من ألهمه الله علمـــاً جمـــاً ، ورفعه مكاناً علياً .
قــال تعــالى : " **وَإِذَا جَـاءَهُمْ أَمْـرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الخَـوْفِ أَذَاعُـوا بِـهِ وَلَـوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْـــــرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَـــــهُ الَّذِينَ يَسْــتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَــوْلا فَضْــلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** " [الأنبيـاء: 83]، وآلة الاستنباط ، وعدة الفهم ، إنما هي بحوزة العلماء الكبار.
يموت النبي صـلى الله عليه وسـلم ، فيرتد أكـثر العرب ، ويأبون تأدية الزكاة لأبي بكر رضي الله عنه ، فيصـمد لهم ، ويقـاتلهم ، ويحـرض النـاس عليهم ، ويقـول **(والله لأقـاتلن من فـرق بين الصـلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال)**.
وتجـيئ خلافة **الفـاروق عمر** رضي الله عنه فيسـير الجيـوش لقتـال المشـركين، ويتهمم لـذلك، حـــتى إنه ليقـــول **(إني لأجهز الجيش وأنا في الصـلاة)** علقه البخـارى فى صـحيحه ، ووصـله ابن أبي شيبة في مصنفه . ويأتي عام الرمـادة سـنة 18 هـ فيتقدم عمر الناس، ويجمع الأطعمة، ويشارك في إعدادها، ويحـزن لجيـاع المسـلمين، ويقف موقفـاً لا نظـير لـه، وسـيرته رضي الله عنه كلها علم وبـذل، وتصد ومواجهـة، وفيه قـال صـلى الله عليه وسـلم **(فلم أر عبقريا يفري فريّه)**.
وهكذا سار عثمـان وعلي رضي الله عنهمـا, جد وبذل وسباق.
وقد قفـــاهم من بعـــدهم ، مـــدركين واجبـــاتهم ، ومحتملين ما يصـيبهم صـونا للإسـلام، حماية للأمـة، وإجلالاً للعلم .

فها هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله عنـــــدما يشتد الخطر على حديث رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، ويخشى عليه الـذهاب يـأمر بجمعه وكتابتـه، ويكتب إلى ابن شهاب الزهري بذلك، فتحفظ الآثـار، وتأمن الضياع !

وهكذا في كل عصر ومدة، يقيض الله لهذه الأمة من يجدد لها دينها ، ويحمي حوزتهـا، ويصـون تراثهـا, من أمثال الإمام أحمد رحمه الله، وصموده التاريخي في فتنة خلق القـــرآن ، حيث قـــرر الحق الأكيد ، ودحض الباطل الشـنيع ، وقبله ابن المبـارك صـاحب الفضائل الزاخرة ومحي الجهاد والسنة، وغـيرهم من أشــباه ابن الصــلاح والنــووي والعز بن عبدالســلام والمنذر البلـوطي، وابن تيميـة،الـذى ثبت النـاس في وقعة شقحب الرمضانية سنة(702هـ) ضد المغول ، وقال كلمته المشهورة . (**والله الذي لا إله إلا هو إنكم لمنصورون**) فقالوا : قل إن شاء الله، فقـال :(إن شـاء الله تحقيقا لا تعليقـا)، وتقـدم النـاس في الصف الأمامي. وأفتى العساكر الإسـلامية بـالفطر ، لأنه أقوى لهم على عدوهم ، ولقد وضع شيخ الإسلام من نفسه زعيماً، وأميراً، وقائداً، لما رأى أن الساحة قد خلت ، وأن الجبن قد تفشى الجميع! فقـام إليهـا، داعيــاً، ومحرضــاً، ومــذكراً، بما أعــده الله تعــالى للمتقين الصابرين .

وقد حكى هو تفاصـيل ما جـرى في تلك المعركة كما نــراه فى مجمــوع الفتــاوى ، ونقله تلميــذه ابن عبــــدالهادى في العقــــود الدرية ، ونريد من علمائنا حاليـاً, تـذكر ما يحصل للأمة في العـراق وفلسـطين وأفغانستان والصـومال وغيرها ، وأن يهبـوا كهبة ابن تيمية وأشباهه العظام ، الـذين نشـروا ثقافة الجهـاد، وسـارعوا للإعـداد بكل صـنوفه ، ومحضـوا التوحيد ،

وآزروا إخوانهم وكشـفوا حقيقة العـدوان ، وصـححوا المفاهيم وكشفوا المخططات ، وهـذا أقل ما يتطلبه الموقف والله الموفق والمعين .

إن أمتنا تعيش واقعاً مأساوياً في شتى مناحي الحياة، وأبشعها تعرضها لهجمة استعمارية جديدة, من قبل أمريكا وحلفائها المجرمين ، فقد احُتلَّ بلدان مسلمان (العراق ـ وأفغانستان) وهي تدعم الصهاينة على الفسطينيين بكل صور الدعم ، ، وتشعل النزاعات في أقطار أخرى كالسودان والصومال ، وتفرض هيمنتها على سائر الدول العربية والإسلامية، عبر سفاراتها الكائنة هناك ، فما المخرج حينئذ وكيف تكون المواجهة ؟!

أولاً: لابد من التأكيد على عجز النظام العربي الرسمي من إحداث أي تقدم أو تطور يتيح له الخلاص من هذه الهيمنة والله المستعان.

ثانياً: لم يبق إلا الدور الشعبي الذى يغذيه العلماء الأحرار, والذين يؤلمهم التسلط الغربي، والصمت الدولي جراء ما يحدث في أقطار الأمة .

ويمكن تلخيص هذا الدور وتلك المواجهة في النقاط الآتية :

أ ـ كشف الموقف الشرعي من خلال إصدار الفتاوى الصادقة والنشرات القاطعة, التي تجرم الاحتلال ، وكل من يسانده من عجم أو عرب .

ب ـ التهيئة الروحية والجهادية للأمة، الكافلة بإعادة هيبتها واستغلالها وحريتها .

جـ ـ تجريم كل عمل مؤيد للاحتلال، وكشف الضالعين فيه، وأنهم خونة التاريخ، بائعو المبادئ،

عبدة الدولار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد **قال تعالى: " فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ " [المائدة:52] .**

د ـ كشف تلبيسات وأغلاط المتاجرين بالعلم والدعوة، الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، والذين يمارسون ألواناً من تخذيل الأمة لترضى بالدون، وتستملي الهزيمة، وتستمرئ الصمت والخضوع!! ولهم مزاعم ودعاوى أقل أحوالها، أن تحرق، أو تصبح مفارش للطعام، بعد تجريدها من ذكر الله وآياته!!

وتستحق قول من قال :

دعاوى يستحي الشيطان منها * ويبرأ من سفالتها الخليعُ**

ومنها ما يلي :-

1- تهويل قوة العدو الغازي، وإرهاب الناس بشكلها وضخامتها ، وأنه لا قِبل لكم بها !!

2- الخلط بين نوعى الجهاد (الطلب والدفع) وتجاهل أن ما تصطلي الأمة به هو نوع من جهاد الدفع الذي يجب فيه الدفاع بكل وسائل الدفاع، ولا يشترط له شروط، وهذا محل إجماع من **الفقهاء قال في المغني (9/163) (إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم) .**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (وأما قتال الدفع، فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجبُ إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شئ أوجب بعد الإيمان من دفعه ، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحبس الإمكان ، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم) (4/52) .

وقال القرافي في الذخيرة (فإن صدم العدو الإسلام وجب على العبد والمرأة, لتعين المدافعة عن النفس والبضع)

3- الحفاظ على بعض المكاسب الدعوية, وأن الكفاح المسلح ، يحرمها حلواء ذلك ويكلفها أبهض الأثمان. والله المستعان.

4- عجز الأمة عسكرياً وتقنياً ومعنوياً عن المواجهة، وأن مثل ذلك شكل للعذر المسوغ للهدوء والمصالحة !!

5- أن النتائج الظاهرة من المقاومة لن تكون إلا مناظر البيوت المهدمة، والدماء المصبوبة ، والأشلاء المقطعة ، وهي ما يمكن تفاديه بالكف عن القتال، وترك السلاح، والانضمام للعملية السياسية كما هو الحال في العراق الآن، وقبله أفغانستان. وغيرها من المزاعم البالية !! وها أنا ذا أعود لمواصلة عناصر المواجهة :

هـ ـ تثبيت أهالي البلد المحتل ، ودعوتهم للمقاومة الباسلة ، وتقديم كل صور الدعم لهم (**إِنَّمَا**

المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) والاستفادة من رؤى علمائهم الذين هم ببلدهم أعرف، وبعدوهم أفهم, وعلى حرماتهم أغير، بل ممكن الاستفادة منهم في قضايا شرعية غير الجهاد **كما قال الإمام أحمد (إذا اختلفتم في شئ فاسألوا أهل الثغور لأن الله يقول: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**)، وإفهامهم أن الاسلوب السلمي مع المحتل عديم الجدوى, لن يؤدي إلا إلى مزيد من التدمير والمسخ والإهانة، والاستلاب، والأطماع المتزايدة, والتاريخ أكبر شاهد على ذلك.

ز ـ التأكيد على قضية أن كل تعويق للمستعمر فى بلد ما كابح لجماحه، مانع لأطماعه ، كاسح لتمدده، وما يحصل في العراق أكبر دليل على ذلك . فلقد أجهض المجاهدون الأشاوس المشروع الأمريكى الصليبى في العراق وقطعوا مفاصله، وعلموه دروس الحرب والفداء والصبر، وأن في الأمة أبطالاً, وفي طلائعها رجالاً، يحبون الموت، أكثر من حبكم الحياة ، فهل تعلمتم الدرس ؟!

الذي نعتقده أن الأراذل من رعاة البقر وأذنابهم وعوا الدرس, ولكن المؤسف أن بعض البادين في الفضائيات من المشايخ لم يع الدرس، ولا يزال يشكك في قدرة المقاومة الإسلامية على الصمود والانتصار . ونقول: " **فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ**" [الحج: 46].

وما أخلقهم ببيت أبي الطيب المتنبي :

وهبني قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء ؟!**

أما تلك الفضائيات العربية التي تروج لثقافة الإذلال والهزيمة ، واللحاق بالغرب الكافرفي أنماطه الغربية, وتغريب الشعوب المسلمةفلا أجد لهم أحسن من قوله تعالى " **وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً** " [النساء: **27].**

ونهديهم قول بعض شعراء الدعوة الإسلامية :

عربيــة الألــفاظ إلا أنهـا	عبرية الأهداف والأوطارِ
من عمق أمريكا يُساس كلامها	ويحوطه الأرذال بالإكبارِ

إن ما يجري في العراق وأفغانستان وفلسطين رد ساحق لكل، دعوى المشيخة المخذلة **!** التي تزعم الحفاظ على بعض المكاسب، وحقن الدماء، وعدم تكافؤ الفرص, و**هذا يتجلى في النتائج التالية:**

أولاً : سقوط دعاواهم كلها ، وانتصار المجاهدين المظفر، وأن العراق بات مجزرة الأمريكان وأذنابهم ، وما حدث في **(الفلوجة مدينة الصمود والعزة)** أعظم شاهد على بسالة المقاومة, وهشاشة قوات التحالف . علها تصلح الخلل العقلي الذي تركب في أذهان المنهزمين من حملة العلم والثقافة !! أو أن هؤلاء خطفت أبصارهم ، أو كانوا

من سكان الكوكب المريخ قد نأت ديارهم ، وانقطعت عنهم حياتنا وأخبارنا!!

ثانياً : أن القوة لله جميعاً وقد تعهد بنصر أوليائه وهزيمة أعدائه .

" كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي " [المجادلة:21] ، **" فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الروم :47] ،**

ثالثاً: أن شبح التخويف بالقوة العظمى في العالم, تصدع أمام ضربات المجاهدين المتزايدة والنوعية, واستطاعت المقاومة المباركة ، أن تبعث رسالة للعالم تؤكد فيها قدرة الضعيف على هزيمة القوى" **وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ"[**آل عمران: 123] وأن التنين يمكن إسقاطه والقضاء عليه " **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ** " [البقرة: 66].

رابعاً: أن الظلم مرتعه وخيم, وعاقبته أليمة، ونهاية أهله مؤسفة .

وقد قال تعالى:" **وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** " [إبراهيم : 42] ، وقال تعالى: " **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** " [هود:102] وصح قوله صلى الله عليه وسلم " **(إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته).** خرجه البخاري في صحيحه.

خامساً: ارتفاع الحالة المعنوية والنفسية لدى جمهرة المسلمين وتشبع أرواحهم بالفخر والاعتزاز جزاء ما حصل ويحصل، إذ تكسرت (عقدة الهزيمة

النفسية) وشمخ الأمل والإيمان ، قال تعالى : (**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"** [آل عمران:39]. لقد كانت الأحداث الجارية في أماكن الصراع الأممي ملهماً لبعض حملة الشريعة أن يراجعوا أنفسهم وينقوا عقولهم من التزبيفات والتخيلات, التي أعمتهم عن إدراك الحقائق الشرعية والسنن الإلهية ، وأن هذه الأمة مرحومة وتصنع على عين الله تعالى ، وتحوطها كلاءته ورعايته . .

وأما بعض المثقفين ـ للأسف ـ فلا يزال يعتقد أن العدو الصائل يمكن دفعه بالوسائل السلمية, والبيانات الاحتجاجية والتشهيرية !!

وهذا في الحقيقة, ما فقه الشرع, ولا الواقع, ولا التاريخ, ولا يزال محل تخبط وانهيار إلى أن تغشاه نيران العدو، وتجتاحه جحافل الغازين !!

أيا مـن فــكرهم قد زاغَ
عــما بيّن الرسـل
وفي أحكــامـهم جنفوا
عن التقوى وما اعتدلوا
لهيبُ الشرك لا يطفيــه
إلا الأحمرُ الهطــلُ
وما سندت خطى التوحيد
إلا البيضُ والأســلُ

قال تعالى :

(**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** " [الحج:39-40]

وليعلم هؤلاء المخذلون عن مواجهة العدو الصائل إذا دهم بلاد المسلمين، أنهم ليسواعلى شئ، وأنهم ينزعون إلى مذهب شيعي قديم ، وهو منع القتال إلا مع المعصوم الذاهب في سرداب سامراء بزعمهم .

وهنا قصة طريفة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المنهاج حيث قال: " قيل لبعض شيوخ الرافضة: إذا جاء الكفار إلى بلادنا فقتلوا النفوس وسبوا الحريم ، وأخذوا الأموال هل تقاتلهم ؟! فقال : لا ، المذهب أن لا نغزوا إلا مع المعصوم. فقال: ذلك المستفتي مع عاميته، والله إن هذا لمذهب نجس، فإن هذا المذهب يفضي إلى فساد الدين والدنيا) . (منهاج السنة 6/118)

فيا أيها الشيوخ المختلون! تشيعتم فقهياً, وسقطتم علمياً، واحترقتم شعبياً! فما الذي تجرون وراءه بعد ذلك ؟! دعوا الأمة، وشأنها واستمتعوا بثرواتكم وقصوركم . وها هنا نص علمي، وحكم مفصلي من الإمام أبي

محمد ابن حزم الأندلسي رحمه الله، نهديكموه, قال في المحلى: (ولا إثم بعد الكفر, من إثم من نهى عن جهاد الكفار ، وأمر بإسلام حريم المسلمين إليهم) . المحلى (7/478) . قال بعض من نظم :

نعوذ بالله من الخذلان * ومن فساد القلب واللسان**

ونسأل الله صفاء القلب * من كل رجسِ قاتل وريبِ**

[9] تكييف النوازل المستحدثة :-

وهــذا من أعظم ما يعيش له جهابــذة الفقهــاء، ليجسـدوا رسـوخ الإسـلام، وديمومة الشـريعة، وأنها مستوعبة لكل تطورات العصر وتقلباته.

والمسـائل المسـتحدثة، هي الـتي تُعـرف بـــالنوازل العصـــرية، أي حديثة على الفقه الإســــلامي، ولم يـــــرد لها ذكر في كتب الأقدمين من نحو، وسائل الإعلام، وما جد في عـالم الطب والإدارة والاقتصـاد، وما ضـخته المدنية المعاصـــرة من مكتشـــفات واختراعـــات تمس واقع المسلم المعاصر.

وهذه يتعامل معها كالتالي :

1- أنها أولاً وقـائع ومسـائل مسـتجدة ، لم تُـذكر في مصنفات الأقادم من نحو: زراعة الأعضاء، والنقـــود الورقيـــة، والصـــلاة في الطـــائرة ، وأطفال الأنابيب .
2- إدارك حقيقة النازلة ، والإحاطة بها وعيا وتدقيقاً .
3- عرضــها على المصــادر الشــرعية ، وأقــوال الصحابة ، واجتهادات الأئمة, لاحتمال الوقـوف على ما يماثلها .
4- جمع المعلومات المُتعلقة بها ، وتكييفها تكييفاً فقهياً, يمكن معه ضبطها والسيطرة عليها .
5- عند عـدم العثـور على ما يشـبهها ، يجتهد فيها متأملا ومحققا حسب الحكم الشرعي, معتبراً مقاصد الشريعة ، وعدم مصـادمة النصـوص ، والقواعد الكبرى ، متجرداً في ذلك لله تعـالى .

ووقفة أهل العلم هنا ضـرورية وحتميـة، حِفاظاً على الإسلام، وتقرير حيويته، وإفساح المجال للعقل الإسـلامي أن يشع ويتسع ، فلم يوصد الباب أمام قضية كـبرى كالاجتهـاد ، الـذي هو منتهى الإبداع, وسبيل التفوق والإمتاع ، وقد كانت جناية من حكم بإغلاقه كبـيرة وأثيمـة, يسـتوجب عليها االثلب والنقد والتعـنيف ، لأنه قـاضٍ على رسـالة الإسـلام بالفنـاء والقصـور الحضـاريً ، وحـاكم على الحجى بالغباء والتفاهة ! وما هكذا يُفهم الإسلام ؟!

لقد بتنا في زمـانٍ اشـتعل بالإنجـازات والمكتشـفات الباهرة ، التي أسعف الله بها الإنسان لعمارة الحيـاة ، وغالبها يلامس وضع المسـلم المعاصـر, فتعين التصـدي لهـا, واسـتيعاب مضـامينها من خلال رؤية الجهابـذة المتعمقين أو المجـامع الفقهية والهيئـات العلمية المختصة بمتابعة النوازل الجديدة .

من الخطأ أن يقـوم العـالم بشـرح متن فقهي حسب الموجـود فى كتب الـتراث دون التعـريج على الواقـع، وما جد فيه من تحـولات، ربما أثـرت في الحكم الشـرعي، لهـذا كـان من الضـروري للفقيه الضـليع، رصد الواقع المعـاش ، والاسـتعداد الكامل للنـوازل الحادثة ، لما في ذلك من إظهـار سـمو الإسلام وقدرته الاستيعابية على حل مشكلات الحياة ، وفيه إعـزاز لعلم الفقيه وإظهـار شـرفه ومكانته ، حيث يذب عن الإسلام ، ويـرتقي به في زمـان، كـثر فيه أعداؤه، والمتخرصون بلا علم .

ومن المنهج العلمي في النـوازل أن يتخصص لها مؤسسات وهيئات علمية, حـتى تتلاقى فيها عقـول ، وتجتمع لها أفئـدة ، تنتهي بعد تـدقيق وتمحيص إلى حل شـرعي مناسب ،لا يتصادم ومقاصد الشريعة وأصولها.

لكن النظر الأحادي قد يحتف به اندفاع، أو عجلة، أو حمـــاس، أو قصـــور علمي، أو فكـــري، فيقع في الزلل، والناس يتفاوتون في ذلك، لذا يحسن الـتريث وطول الأنـاة، والتأمـل، ومراجعة العلمـاء الحـاذقين، ولا يضر عجز الفـــرد الواحـــد، لكن الضـــرر أن تعجز المؤسســات العلميــة، لأنها ممثلة الإســلام وحاميته أمام الجهلة والمشغبين .

قال تعـالى: "**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْـتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**"[الأنفال:60]، والقـوة الإسـلامية تأخذ أشـكالاً شـتى, فتشـمل القـوة الإيمانية والعسـكرية والعلمية والفكرية والنفســـية .. وما نعنيه هنا إعـــداد القـــوة العلميـــــة, الضـــــاربة أطنابها في خضم الحيـــــاة ، والراصدة لكل قضايا العصر ومستجداته عــبر التأمل والنظر والتـدقيق ، إلى أن تصل إلى حل مسـتوعب وجواب مؤصل محكم .

كذ هو الإسلام حركة دؤوبة ، وتحدٍ قائم ، وهجوم شامل لا يعرف الكسل، ولا تسـتخفه العوائق والأراجيـــــف! يشق به الأفـــــذاذ الجهابذة ، والأعلام الكملة، بحر الحيــاة على هدى من ربهم وتوفيق ، لينتهـوا بعـدها إلى مرسى الفوز والتفوق والسعادة .

فما ذلَّ الإباء بهم وما بهم احتفى الفشلُ
ورأسُ الشعب مرتفعٌ وموج البذل متصلُ

وقــال سـبحانه وتعـالى:"**وَكَـانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْـرُ الْمُؤْمِنِينَ** "[الروم:47]

وقـــال تعـــالى: " **وَلَيَنصُـــرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُـــرُهُ**" **[**الحج:40]،

وقـــال عز وجل : " **إِن تَنصُـــرُوا اللَّهَ يَنصُـــرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** " [محمد:**7]** .

وقال لموسى وهارون عليهما السـلام : " **لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى " [**طه:**46**]،

فكل عامل لهـذا الـدين في معية الله وحفظـه، يحوطه ويحرسـه، ويعينه ويسـدده، فكيف بـأعلام الهدى، ومصابيح الدجى، الذين حملوا أعظم مـيراث، واكتسـوا بـأغلى حلة وجلبـاب، مثلهم كمثل الأنسـام الباردة، التي تغذي الحياة بالضياء والهـواء والصـفاء, فهل لهؤلاء بين الأنام مثيل ؟ أو لهم مشابه ونديد ؟! طيَّب الله مسعاهم ، وشكر جهودهم .

لذا يجب أن تعتقد المجامع الفقهية ومؤسسات الإفتاء، أنها بدورها المعرفي والتكييفي للمسائل العصرية لا تحل مشكلة فحسب، بل إنها تقدم للإسلام خدمة جليلة من خلال رفع شأنه، وإعلان صموده لكل تحديات الحياة ، وهذا نوع من إغاظة أعداء الله ، وإقامة الحجة عليهم .

لكننا ننبه هنا إلى محترزات رئيسية للمجامع الفقهية لا بد أن تأخذها بالحسبان :-

أولاً: البحث العلمي المتقن, القائم على الشمولية، والتتبع، والإحصاء التام لكل ما يتعلق بالنازلة .

ثانياً: التجرد الفكري أثناء البحث والتقرير, والسلامة من كل الضغوط السياسية والنفسية ليتحقق للمجمع هدفه ، ويبلغ البحث غايته .

ثالثاً : التنسيق مع مجامع فقهية أخرى, والاستفادة من تجاربها وبحوثها السابقة, وفي عصر العولمة والنت يمكن إشراك مجموعة متكاثرة من علماء الأمة الأذكياء والمخلصين .

وفي هذا التنسيق فوائد أنه خطوة إلى توحيد الأمة, ومن ثم يقضي على أسباب الخلاف والتنازع, ويبرز صورة حسنة للمسلمين تنبئ عن تقاربهم وتفاهمهم وليس التضاد والتناقض .

رابعاً: الانطلاق من برنامج تنظيمي مخصوص، ومستقل، يقره علماء المجمع, ويمارسون فيه حريتهم العلمية والفكرية, وأن يجاوزوا النمطية التقليدية في النظر والبحث, بحيث لا يقتصر البحث النوازلي بمسائل العبادات فقط، بل يبحث في كل شئون الحياة مما يتصل بقضايا الإسلام عقيدة وشريعة, فلا تنحى مثلاً :النوازل في القضايا السياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية .

وإلا أصبحت أضحوكة ،محل سخرية بني البشر! ويعتبر تصرفها هذا مسخاً للدعوة السلفية، وعلمنة للإسلام العظيم ، والله المستعان .

خامساً: التغلغل الإجتماعي والعالمي, بالخروج من العزلة المكبوتة للمجامع وتوسيع مجالات النشر، والدعوة والتفقيه السريع، الذي يضمن حيويتها وتفاعل الجماهير معها. ومن المؤسف أن كثيراً من هذه المجامع لا يعرفها إلا النخبة بل خاصتهم ممن له متابعة أوحب استطلاع !

ويمكن دفع هذه العزلة وتحقق المقاصد من تأسيسها بما يلي :

أ.استقطاب عدد أوسع من علماء الأمة في شتى الأقطار الإسلامية.

ب. إصدار مجلة فاعلة، تشق الآفاق دوياً وانتشاراً.

جـ. مخاطبة الجامعات والمؤسسات الشرعية, والتواصل معها بالنشرات الجديدة, والتحقيقات المتأخرة .

د. الاستفادة من وسائل الإعلام المتطورة ، وتأسيس موقع الكترونى تسجل فيه آلية العمل ، والمسائل المبحوثة ، والنتائج المستخلصة .

هـ. ملامسة واقع الأمة، بمشاكلها، وأشجانها، وتحقيق مصالح العباد وفق الضوابط الشرعية .

و. صياغة دورات علمية في فقه النوازل، تُرسم فيها الآلية والمنهج، وكيفية التعامل والمسائل المبحوثة، والمتوقعة ، وأنها الأساس, لإعداد الفقيه, ويشرف على ذلك الفقهاء المختصون والعلماء المتمكنون.

[10] **بثّ المحاسن والسنن** :-

وأعــني بها تمثيل (الصــورة الجماليــة) للإسلام الكائنة في قيمه الخالدة ، ومحاسنه الزاهية ، وفضـائله الآسـرة ، وسـننه اللامعة ، التي رسمها القرآن والسنة, وصـورها رسـولنا النبيل خــير تصــوير من طيب الكلام ، وإفشــاء الســلام ، وتحسين المظهر ، والرائحة الزكية وصنع المعروف ، وحفظ الجميل ، والرفق بالجاهل ، وبـــذل المـــال والجاه، والصـبر على الأذى ، وغض الصـوت، والبصر والإحسان للجار والصلة والصدقة ، وسماحة النفس, وسـلامة الصـدر ، والرفق بـالإخوان ، و قلة الخلاف على الأصـحاب ، ورحمة الكبـار والنسـاء والصـغار، وقضاء حوائجهم.. .الخ

قــال تعــالى : " **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُــقٍ عَظِيمٍ** " [القلم:4]، وقـال عز وجـل: " **خُـذِ العَفْـوَ وَأْمُـرْ بِـالْعُرْفِ وَأَعْـرِضْ عَنِ الجَـاهِلِينَ**" [الأعـراف: 199]، قــال جعفر الصــادق رحمه الله (ليس فى القرآن أية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية) .

وصح قوله الـزاكي عليه الصـلاة والسـلام **) إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** وفي لفظ **(صالح الأخلاق)** أخرجه مالك وأحمد والترمذي. وتشـرفت الأمة عندما قال رسولها صلى الله عليه وسـلم **(إنَّ الله جميل يحب الجمال)** جمال الروح والجسـد، وجمال الزي والمظهر، وجمال الفعل والمنطق .

إننا نريد علماء أجلة ، يحيون هذه المعاني والقيم في حياة النـاس قـولاً وعملاً ! فليس وظيفة العـالم والفقيه مجرد التـدريس، والتوجيـه، وتنقيح المسـائل والكتب ، بكل عنفـوان وصـرامة ! كلا! إننا نتأمل أن يمــزج العلم والتــدريس بــالخلق الفاضل ، واللمسة الإجتماعية والروح المتواضـعة ، والبسـمة الصـادقة ،

ويكـون الأسـتاذ شخصـية نبوية تحـوي شـمائل سـيد الخلق ، ومعلم الخير ونبي الرحمة والتوبة صلى الله عليه وسلم : " **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** " [الحشـر:7]، إن رهطـاً من الجهابذة الأكابر ، يسيئون للإسلام بفظاظة أخلاقهم ، وخشـونة عبـاراتهم ، واعتـدادهم بـآرائهم ، وقسـاوة مـواقفهم ، الـتي تنـبئ عن نفسـية محتقنة ، ومـزاج صـاخب ، وتفكـير مشـوش. يكـدر مبـاهج علـومهم ، ويصـرف النـاس عن إتقـانهم، ومصـنفاتهم، والبلاء موكل بالمنطق .

إن العلم الشـرعي، ومنظومة القيم الإسـلامية، خليقة أن تهـذب نفسـية العـالم ، وتصـلح اعوجاجه ، وتجعله يستشـعر أنه **(وريث الأنبيـاء)**، وصـاحب الحلة البيضاء ، فلا يقول إلا خيراً ولا يُبدي إلا حسناً ، وكـذا ينشر دينه ، ويحبب النـاس لعلمه ودروسه ، ويبعث رسـالة مفادهـا. أنا هنا الإسـلام بأصـوله وعقائـده ، وأنا الإسـلام بقيمه وجماله ، وأنا الإسـلام بنوره وطعومته ، وأنا الإسلام بمحاسنه وأطايبه .

قـالت عائشة رضي الله عنها في خلق النـبي صلى الله عليه وسلم . **(كان خلقه القرآن)** كذا هي الشخصـية الرائعة الـتي تبث معـالم القـرآن، ومحاسـنه، من خلال تـدين صـحيح، وسـلوك جميـل، وأدب جذاب .

إن خطوات العـالم والشـيخ محسـوبة مرصـودة، يتحسسها العامة، ويتأثر بها الخاصـة، فليجتهد الشـيخ الفاضل على تـوخي الخـير والسـنة، والتجـافي عن الزلل والهفوة.

ومن الطريف الجميل هنا قـول الإمـام سفيان الثوري رحمه الله (إن اسـتطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل) .

وقد نظمته في منظومة المذهبة .

وأتبع الأقوالَ بالفعل ولا تحك الرأسَ إلا بأثرِ الأبرٌ

فهكذا كان الإمام الثوري ونهجهُ بين الهدى والنورِ

وهنا أنقل موقفين لعالمين فاضلين شاهدتهما في أول الطلب: **الأول**: في مسجد كلية الشريعة بأبها ، لما انصرف الإمام قام سائل كالعادة بطلب المعونة من الحاضرين فقال له الإمام: بعبارة حانية مشفقة ، نسأل الله أن يفرج عنك ، اقعد عند الباب وسيأتيك الخير من الحضور.

والآخر: فى مسجد كبير وفى درس علمي، كان الشيخ مسترسلاً في درسه، فرأيت طفلاً قد تشوة نصف وجهه، وهويسأل الناس، فقال له الشيخ بعبارة شديدة، اذهب يا أخى أزعجت الناس !!!

فانطبع الموقفان في ذهني، انتفعت من الأول الرحمة بالناس، والدعاء لهم، والحنو على الضعفاء والمساكين, وهذا ما أنتهجه في حياتي العلمية والإجتماعية.

والآخر آلمني, وزهدني في علم لا يمزج برحمة ولا خلق . وهذا ما شاهدته في صباي ، والناس شهود الله في خلقه .

إن شخصيات علمية مرموقة ، يعوزها كثير من الأدب والأخلاق الحسنة، تحتد في الكلام، والسلوك، والمعاملة، لكأن العلم لم يهذبها ، والسيرة النبوية لم تشرق على ساحتها, فأصابها ما أصابها من خمول الذكر ، وقلة البركة ، ونفور الجماهير.

إن العجب لا ينقضي من تلك الشخصيات السامية، التي تعتقد أنها بالحدة والصرامة، والتشدد المنغلق، تسجل موقفاً رائعاً يدل على الحزم

وحسن التربية والإدارة، وتتناسى أنه يفقدها الصـورة الجمالية، والمشهد الرائق للـدين الإسـلامى المتمثل في مكارم الأخلاق، وروائع الفضائل والخصـال، الـتي هي جزء كبير ومؤثر في العملية الدعوية، والمفترض وعيها لدى خاصة الناس كالعلماء الأجلاء ..

ولكن الانحـــدار الأخلاقي هـــذا، ســـببه جفافية الطبــاع، وشح الســجايا ، وتقلص بركة العلم ، بحيث أن النفس البشرية تكون أقـرب إلى تقمص الصـورة الســلبية, المســتورة بكثــير من العنت والانقبــاض والتشاؤم. ولم تعد في مقدارها أن تتجاوز ذلك وتحيا المعنى الجمالي للإيمان وشرائعه!!

ويصدق فيها قول القائل :

والذي نفسه بغـير جمال لا يــرى في الوجــود شيئاً جميلاً

والذي نراه لزاماً لهذه (الشخصية المكتئبة) أن تقــرأ القــرآن حق قراءتــه، وتتهــذب بأخلاقــه، وأن تعظم الفكرة فيه.

قال تعـالى**: " أَفَلا يَتَـدَبَّرُونَ الْقُـرْآنَ وَلَـوْ كَـانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافـاً كَثِـيراً" [النساء:82]،** قــال إبــراهيم بن أدهم رحمه الله (**الفكـرة مخ العقل**)، ومن المستحسن المؤكد في حقها، استطعامها للسيرة النبوية الزاكية، التي برزت فيها شخصية أعظم قائد ومرب عرفه التــاريخ ، جمع الله فيه محاسن ما في الأمم، وأمتعه بلطيف الخصال والشيم ، وجميل القــول ، والآداب كما قــال تعـالى: **" وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُـقٍ عَظِيمٍ" [القلم:4]،** ومن ســمو نفسه ودعوتــه، أن رســالته انتشــرت بالإيمان والأخلاق الفاضلة وليس بالسـيف، والشـدة، أو العنت والتصلب الخلقي . يقول بكل صراحة **(إن**

العبد ليـــــدرك بحسن خلقه درجة الصـــــائم القـــائم) أخرجه أبو داود .ويكشف المبـــدأ الـــذي قــــامت لأجله البعثة **(إنما بعثت لأتمم مكـــارم الأخلاق)** ويقـــول بكل جلاء وصـــفاء **(إنـــني لم أبعث لعانا ، إنما بعثت رحمة).**

وينصع النص الربـانى بكل لمـوع وتـوهج وجاذبية : " **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَـةً لِلْعَـالَمِينَ" [الأنبيـاء: 107]، " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَـدِيثِ أَسَـفاً" [الكهـف:6]،** أخلاق باذخة، ومحاسن باسقة، وإشفاق تــام، ورحمة متكاملة! كل ذرة منها تسجل انتصاراً عالمياً في دنيا المثل والقيم، وفــوزاً حضــارياَ وتاريخيــاً، في حركة الحياة, تعجز الديانات والحضارات الأخرى أن تسـجل مثله!!

فيالله كم كــــان مولــــده عليه الصـــــلاة والسلام، بهيجـاً على هـذه الحيـاة، أشـرقت الدنيا بطلعته، وتبسـمت لمنـائرة، وتضـوعت لأخلاقه وشمائله .

كأن فيضَ السنا في كل رابيـــة
موج وفي كل سفح جدول جاري
تدافع الفـجرُ في الدنيا يزف إلى
تاريخها فـجر أجيـال وأدهـارِ
وامتدت الملة السمحـا يرف على
جبينها تـاج إعظـام وإكبــارِ

تقـــرأ في ســـيرته، الخلق المتعـــالي بلطافتـــه، والأدب المتســـامي بأريجه ، والنفس الكبـــيرة بعبق شيمها، وزاهي محاسنها وروائعها.

خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

أكل اليابس عليه الصـلاة والسـلام, ورعى الغنم، وفلا ثوبه بيـــده، وأحسن للعـــدو والصـــديق، وأنصت للصـغير, وأنصف المـرأة، وسـمع شـكواها، وخـدم الضعيف ، وأعطى المسكين.

وكـانت تأتيه الأَمة من نسـاء المدينة فتأخـذه إلى حاجتها حيث شـــاءت ، فما يتلكأ ولا يـــتردد ، يكـــرم الكرمــاء ، ويحمل الضــعفاء ، ويعطي عطــاء من لا يخشى الفقر ، قد هـانت الـدنيا في عينيـه، وصـغرت مباهجها في تفكيره. يتكلم بالطيب الجميل، ويصمت صـمت اللـبيب الأديب. لم يكن لعانـاً ولا فاحشـاً ولا صـخاباً ولا بـذيئاً يعفو ويتجـاوز، ويصـفح ويتجاهـل, تحوطه الأعـراب بجلافتهـا، فيبلع مناكـدها، ويصـغي لمشـــاكلها، ويعطيها النـــوال المكمـــل, والســـخاء المعجل.

يجذب الأعرابي برده النجراني، ويؤثرفي عاتقــه، فيبتسـم، ويسـمع الكلمة الجافة . (أعطـني من مـال الله الذي أعطاك) فيسارع ويعطيه .

هـذه هي أخلاق النبـوة، وشـمائل الداعيـة، الـذي ينظر لبعيـــد, ويطمح إلى بسط الإســلام على هـــذه الحياة ، ويحقق السعادة الكافية للروح .. .

لأن هذه المحاسن والآداب تشـرح الصـدر, وتبهج القلب، وتحقق الاســـتقرار النفســـي، والاطمئنـــان الـــداخلي! والداعية إلى اللــــه، وهو يواجه الصـــد، والكفــر، والانحلال الأخلاقي, أحــوج ما يكـون إلى ما يســليه ويســعده، ويزيل كــدره وغمــه، لأن الحيــاة بمفاتهنا ومتناقضــاتها ، مورثة للغم ومكــدرة للبــال ، ومزعجة للفكر ، وهذه حالة نفسية وفكرية لا تصـيب إلا من عظم همه لدينــه، وصــحت نيتــه، وصــدقت عزيمته، واشتد سعيه وكده في سبيل الله .

وإنما يصـــدق هـــذا الوصف في حق الـــدعاة العـــاملين بحرقة ، والســـاعين بأسف ، والبـــاذلين بسخاوة ، وأولى النـاس بـذلك هم علمـاء الشـريعة ، وأتباعهم الذين علمـوا من شـرع ربهم ما يبلغهم إلى هذه المنزلة، التي تجعلهم أكثر غيرة وجداً وحماساً.

ومما يؤسف له هنا أنك قد تجد من قلّت بضاعته العلمية، ويحمل هماً كبيراً على دين الله! وآخر عالم معلم، مفيد علماً وتأليفا وتدريسا، ولكنه ضئيل الهمة الدعوية ، مهين الغيرة الإصـلاحية ، لا يتطلع إلى بنـاء حضارة, أو بلوغ مجد, أو تحقيق انتصار...

وفي نفس السـياق ، يعمد قليل البضـاعة، عظيم الهم إلى عـــرض رائق لمحاسن الإســلام، يخطف به أرواح الجمــاهير، في حين صــاحب العلــوم، وحــاوي المصــنفات، لم تــزده علومه إلا المزيد من الصــلابة والشدة والخشـونة! فسـبحان الـذي خلقهم، وأعطى كل شئ قدراًا, ولا حول ولا قوة إلا بالله .

والمجد الإســلامي في تفكــيره الضــيق فتــاوي عبادية يصــدرها، أو مؤلف يكتبــه، أو برنـامج إعلامي يزوقه وينمقـه، دون أن تكـون لهـذه الأنشـطة أي بعد حضـاري أو إصـلاحي شـامل، وإنما تمــارس بســطحية بــاردة ، وبطريقة متهاونــة، والله المستعان .

المهم أن بث المحاسن والســنن، طريقة نبويــة، وانتهــاج ســلفي وإصــلاحي، ها هو أبو بكر الصــديق رضي الله عنه كـــان يحلب لأهل الحي غنمهم، فلما ولي الخلافة قالت جارية منهم، الآن لا يحلبها . فقـال لا والله، وأرجو أن لا يمنعــني ما دخلت فيه عن عمل ما كنت أسعى إليه .

وعمر الفاروق رضي الله عنه، يــراه طلحة رضي الله عنه يتردد على بيت امرأة، فرصده مــرة إلى أن

خـرج، فـدخل عليهـا، فـإذا هي امـرأة عجـوز عميـاء مقعـــدة. فقـــال لها طلحة : ما يصـــنع هـــذا الرجل عندك؟! فقالت هذا له منذ كذا وكـذا, يصـلح شـأني، ويخرج الأذى عني، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة عثرات عمر تتبع!!

وذو النـورين عثمـان رضي الله عنـه، يبـذل ماله في سـبيل اللــه، وفي أبــواب الخـير، فينشر حقــاً ويحقق سعادة، ويقوي عزيمة، ويستر عيباً.

وأبو الحسن علي رضى الله عنه تؤخذ درعه المتينة يـوم صـفين، يأخـذها يهـودي، فيتحاكمـان إلى شـريح القاضـي، فيقضي بها لليهـودي لضـعف حجة أمـير المؤمـنين. فيتعجب اليهـودي، ويعلن إسـلامه، فيهبها له علي رضي الله عنه.

وابن عمر العـالم العابـد، ومن نعته الـذهبي في السير (بشيخ الإسـلام) كـان يخـرج إلى السـوق كل يوم ليس له حاجة من بيع أو شراء إلا إفشاء السلام، وجمع الحسـنات والفضـائل. كما صح ذلك في موطأ مالك.

وجرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه يــروي حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم مفاده (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصـلاة، وإيتاء الزكاة، و النصح لكل مسلم).

فيذهب إلى السوق ليشتري فرساً فيسومها ، فيذكر له صاحبها سعراً فيتأملها ، فيقول : إنها تستحق أكثر من ذلك ، ولم يزل يتأملها ويزيد فى سعرها ، حتى بلغت ثمانمائة درهم ، فيشتريها ، فيعجب منه الرجل !

ولا يزيد على قوله **(بايعت رسول الله على النصح لكل مسلم**) والشواهد المستحسنة في

حياة صحابة رسول الله تفوق الحصر، وإذا تأملت من بعدهم رأيت عجباً عجاباً ، ومنظراً خلاباً.

أولئك قوم شيد الله فخرهم * فما فوق فخر ولو عظم الفخرُ**

ها هو إمام التابعين سعيد بن المسيب رحمه الله ، يتخلف أحد تلاميذه وهو أبو وداعة عن الحلقة ، فيذهب يسأل عنه .. فإذا امرأته قد ماتت فيرشده للزواج ...

فلا ينتبه إلا والشيخ الإمام يطرق داره ، وقد أحضر ابنته الفقيهة العابدة ، ويقول : هذه زوجتك . وفي اليوم الثانى يريد التوجه للحلقة فتقول له بكل ثقة واعتزاز، (اقعد أعلمك علم سعيد).

وعلي بن الحسين زين العابدين رحمه الله كان يحمل أكياس الدقيق إلى بيوتات مخصوصة في المدينة ، كان يذهب لها ليلاً .. فلما مات رؤي أثر تلك الأكياس في عاتقه ، وافتقد فقراء صدقته وعطاءه.

والإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله كان يعمل بزازاً ، يبيع البز والخز ولذا اشتهر بالبزاز أو الخزاز .

وقد حول مجلس بيعه إلى منتدى فقهي يحضره أصحابه ويتطارحون المسائل حتى قيل : تفقه أبو حنيفة بالمطارحة وهذا له دلالات حسنة :-

الأولى : أنه استثمر من وقت تجارته, ما يساعده على العلم والتفقه .

الثانية : أنه يأكل من عمل يده، ولا يكون عالة على الناس .

الثالثة : أنه متحلٍ بزينة الحياء، التي تحمله على التعفف، و فعل الخير، وكراهة المساوئ والعيوب.

الرابعة : يقرر لنا أنه لا تضاد بين التجارة والعلم، وأنه باستطاعته الاتجار والبحث عن لقمة العيش، وأن يتعلم وفق الوضعية التى يعيشها.

فأبو حنيفة، حول متجره إلي منتدى فقهي، يحضره الأصحاب والتلاميذ فيسألون ويناقشون . وله موقفه الأخوي النبيل، مع جاره السكير، عندما أخذه الحرس، فذهب وأخرجه وقال : يا فتى هل أضعناك؟! حيث كان ينشد:

أضاعوني وأي فتى اضاعوا ** ليوم كريهة وسِداد ثغرِ

فيقول: **(بل حفظت الجوار، حفظك الله).**

ومالك بن أنس رحمه الله (نجم السنن) المشهور ، كان لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ماشٍ، وإذا انعقد له المجلس ، توضأ وتطيب، ولبس أحسن ما لديه، وهو بهذا المسلك يعلم الأتباع إجلال حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، واحترام مجالس العلم ، والتطيب للمقامات الجليلة ، خلاف من لا يعظم السنة ، ويمتهن مجالس العلم ، ويحضر لها وللمساجد دون ريح مستطابة وهيئة حسنة . **وقد قال تعالى : " خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ"** [الأعراف:31]

وإمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله الصابرفي المحنة، والظافر بالعزة والمنة, يضرب المثل الأجل والنموذج الأعظم فى التواضع، والكفاح العلمي، عندما يراه بعض الناس، وهو حامل للمحبرة، فيقول له: أتحمل المحبرة وأنت إمام المسلمين؟! فيقول : **(مع المحبرة إلى المقبرة)** وهى من محـاسن الكلام وفيه قلت في المذهبـة:

ولا يزال حـامل * مجتهد دومـاً إلى**

المحابر المقابر

قد جعلَ العـلم له شعارا * يمتثل الـقرآن والآثـارا**

فلذة العـلم له شفــاءُ * ليس له من دونها غذاءُ**

والإمام أبو عبدالله الشافعي رحمه الله, الذى يسميه أحمد **(الفيلسوف)** وراقم كتاب **(الرسالة)** والمتفرد في بابه، و لافظ روائع الكلم في المنهجية العلمية والحوارية، من نحو قوله**: (ما ناظرت أحداً إلا على النصيحة)، وقوله: (ما ناظرت أحداً إلا وددت أن يظهر الله الحق على لسانه).**

وهذه حسنة علمية نادرة، قلما إنسان يقولها ، لكن الإمام يمنحنا درساً في التجرد العلمي للحق ، وقبوله من أي طرف كان، وأن غاية البحث والمناظرة هو الظفر بالحق ، وليس الغلبة أو حب الظهور والانتصار والله الموفق .

[11] التجسيد العملي للوحيين:-

وهذا معنى زائد، وسر كبير، يتجـاوز مسـألة نشر الدعوة الإسلامية، أو بث المحاسن والسـنن، ليحولها إلى جسد محشو بالاتباع، وسيرة مفعمة بكل معـاني الأسوة والاقتداء، وهي (**الاسـتقامة البليغة**) الـتي تعتمد المبـادئ والأصـول، وتحيا بالسـنن والفضـائل, وترى في تعاليم الكتاب والسنة مائدة تتغـذى عليهـا، وحلياً تتزين بها، عظيمة المقصد، متسعة الثواب, قد بورك في خطواتها، واستنارت توجهاتها, فلا تقلل من خير، ولا تهوّن من سـنة، قد اسـتوى الشـرع عنـدها، وعظم أصلاً وفرعاً ، وطاب حسناً ولباً .

قال **صلى الله عليه وسلم كما في صـحيح مسلم** ، **(لا تحقرن من المعروف شـيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)**

تعتقد أن دين الله هو الحـــق، وأن رســالته فلاح النــاس وســعادتهم، وأن شــرائعه صــمام الأمــان، والثبــات، فلا يزيــدها الاستمســاك إلا قــوة وصــلابة، تتعانقها السـعادة, ويغشـاها النـور، ويحتويها البـذل والتضحية. حيث تتعزز بدينها في كل موقـف، وتنمثل به في كل زمـــان, وتعيش ســــنته رغم الغربة والا ســـتيحاش، فهي فـــرع شـــجرة الطائفة الناجية المنصورة التي صح فيها الحديث **(لا تزال طائفة من أمـتي على الحق لا يضـرهم من خـذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله).** صـحيحة المعتقد، شديدة الاتباع، عظيمة التضـحيات، لا تبـالي بالعنصر المخـذل، ولا الطـرف المخـالف، قد أخـذت الدين بكليته، وحملت الشرع بحــذافيره **" فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِـرْتَ " [هـود:112]**، اســتقاموا لله حق الاستقامة، وعظموا شـرعه، وسـارعوا إلى تطبيقـه، ولم يروغوا روغان الثعالب !!

وفي صـــحيح مســـلم قـــال ســـفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه يا رسـول الله **(قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحد بعدك : قـال : (قل آمنت ثم استقم)** .

إن جهابذة الإسلام يحيون لدينهم ، فيحققـون فيه الاســتقامة العقائدية من التوحيد الخـــالص، واليقين الراسخ، ويحققون فيه الاستقامة العملية من التسنن الجــاد، والاتبــاع الكامــل، **" لَقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُــولِ اللَّهِ أُسْــوَةٌ حَسَــنَةٌ " قُــلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** " [آل عمران:31] .

العالم الشرعي مجسد لشـرائع الإسـلام، ما كـبر منها أو صـــغر، يظهر منه وبيص الاتبـــاع في قوله وعلمه، ودعوتـه، ونشـاطه، وحركتـه، وأكله وشـربه، موطفا للســنن على نفســه, ومتحليــاً بالفضـــائل والمكرمات، التي غرسـها رسـول الأمة عليه الصـلاة والسـلام، واقتفاها السـلف الكـرام, وأئمة الإسـلام الأجلاء كالحسن وســـعيد، وأبي حنيفة ومالـــــك، والشافعي وأحمد، ومن جاء بعدهم كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجة، والمجددين الأفاضل كـــالنووي والخطيب وابن عبـــدالبر وابن حجر وابن تيمية وابن القيم.

الـذين عاشـوا الإسـلام معـنى وحسـاً، وحملـوه بفعـــالهم قبل مقـــالهم، وبلغـــوه بحركـــاتهم قبل عباراتهم، فوصل إلينا قولاً طرياً مباركـاً، قد صـدقته الفعال، وحققته الجهود والأعمال.

إنه لقـــبيح بالعـــالم الشـــهير، وقد زين بـــالعلم المؤصل، والفقه المكمـل، أن لا يجسد علمه وثقافته من خلال سيرته وعمله, وأن لا يحيا شـريعة الإسـلام قولاً وعملاً وسلوكاً!!

نريد من العالم المبارك، أن يكون إشعاعة نور وهــدى وصــفاء ، يطبق ما تعلمه ، ويظهر عليه في لغته وسمته وسكونه .

وإن من فوائد التجسـيد العملي للوحـيين ما يلي :-

1. بلـوغ الغاية الإيمانيـة, والرسـوخ اليقيـني, الذى يصد كل المخاطر والفتن والمغريـات .
2. تربية الأمة والأتبــاع على العمل والتنفيــذ، وأن اقتضـــاء العلم العمل كما قـــال **علي رضي الله عنه (هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)**
3. إبــراز الصــورة الكاملة للإســلام، وكشف فضــائله ومحاســنه، وتعليم الأعــداء ما هم عنه غافلون، وما هم عنه معرضون .
4. ترســيخ القــول بالعمل والاقتــداء، وتحقيق صــدق الاعتقــاد والأقــوال، إذ الــدين قــول وعمل، وتصديق وامتثال .

[12] الصدع بالحق الرباني :-

ونعــني به مــدلولات الكتــاب والســنة، وما يحتمه الــواجب الشــرعي، من حق مــبين، ونصــيحة صــادقة، وفتــوى مكشــوفة وبلاغ ظاهر، وبلاء حسن. قـال تعـالى: **" فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنْ الْمُشْـرِكِينَ " [الحجـر:94]** والصــدع بـالحق والعلم الصــحيح، لا يعــني الانــدفاع الغاشم أو الحمــاس المفــرط، بل يجب وعي العلم وفهمــــــــه، وحسن عرضه وتنزيله في أماكنه مع الاحتساب والصدق واحتمـال الأذى والمخـاطر، قـال

تعـالى: **" فَاصْـبِرْ كَمَا صَـبَرَ أُوْلُـوا الْعَـزْمِ مِنْ الرُّسُلِ" [الأحقـاف:35] وقـال تعـالى : " مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيـلَ لِلرُّسُـلِ مِنْ قَبْلِـكَ " [فصلت: 43]ـ ، وقال تعـالى : " أَمْ حَسِـبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** "[آل عمران:142]، وهذا البـــاب واجب شـــرعي مؤكد يتعين على حملة العلم الشـرعي, ومن في مقـامهم من الـدعاة والناصـحين الـــذين وعَـــوا عن الله شـــرعه، وأخلصـــوا في طلبه ودعوته.

وله محاسن تنعكس على العـالم والأمة منها :-

<u>أولاً</u>: إبراء الذمة، والتخلص من العهدة، التي ألزمها العلم على أهلـه، أن يبلغـوا الحق ولا يكتمـوه. **قـال صـــلى الله عليه وســـلم : (من كتم علمـــاً ألجمه الله يـوم القيامة بلجـام من نـار**)، رواه الترمذي وابن ماجة وهو صحيح .

<u>ثانيـاً</u>: تحقيق الميثـاق الـذي أوجبه الله تعـالى على أهل العلم **:" وَإِذْ أَخَـذَ اللَّهُ مِيثَـاقَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـــابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَـــهُ " [**آل عمران:187] **.**

<u>ثالثـاً</u>: النصح الخـالص للأمـة، الـذي يكفل لها رؤية الحقيقة ، وإزاحة الباطل, وكل ما يشوش تصـوراتهم .

<u>رابعـاً</u>: تربية التلاميذ والأتبـــاع على منهج الصـــدع والنصح الحقيقي.

<u>خامســاً</u>: الســـلامة من اللعن الإلهي الغليظ **" إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُـونَ مَا أَنزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَـاتِ وَالْهُـدَى مِنْ بَعْـــدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَـــابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمْ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمْ اللاَّعِنُونَ** " [البقرة:159**].**

سادساً: إيقـاف الظلمة وتحجيم المعتـدين، وتعويق كثــــير من مشــــاريعهم, وأفكـــــارهم الهدامة والله المستعان.

والصــدع بــالحق الربــاني يتنــاول الجــوانب التالية :-

1. عند انتهاك حرمات الله تعالى، وظهور المناكر فيجب الصدع البليغ، والإنكار المحقق.
2. استعلاء الظلمة ، وبطش الطغاة ، قـال تعـالى لموسى وهارون عليهما السلام تجاه فرعـون " **اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**" [طـه: 43-44]، والصدع بـالحق من المشـاق العلمية التبليغية، التي ربما قصَّر فيها كثـيرون، وتهـانوا بها خشية البطش والأذى, أو إيثـاراً للـدنيا على الآخـرة، أو سـوء فهم للمنهج الـدعوي الحــق، والمقصد أنه ليس كل عالم يسـتطيعه، بسـبب التفاوت العلمي والإيماني والسلوكي! لكن من المتعين، قيام فئة، أو فرد بهذا الغرض العظيم .

قــال تعــالى**: " وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَــدْعُونَ إِلَى الْخَيْــرِ وَيَــأْمُرُونَ بِــالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَــوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ** " [آل عمرن:104] .

3. الـرد العلمي لكشف الحق , وردع الباطـل, الـذي يستوجب إسراع البيان وعدم التأخير .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال رســـول الله صــــلى الله عليه وســـلم :**(من رأى منكم منكراً فليغيره بيـده ، فـإن لم يسـتطع فبلسـانه ، فـإن لم يسـتطع فبقلبـه, وذلك أضعف الإيمان)** .

ومما يساعد على بلـوغ هـذه المنزلـة، الـتي اختص بها رسل الله تعــالى، وجماعــات من العلماء ما يلي :

1- الـزاد الـروحي، الـذي يعلو به الإيمـان ويُرسخ اليقين ، بحيث تنبثق من محبة الحق ، والدفاع عنه ، والاسـتعداد للمقارعة بـالعلم، وهـذه هي الشجاعة الإيمانية .

2- فقه رســـالة العـــالم ، وحق أمانة العلم وأنه تطـبيق لحـدود اللـه، ولا يجـوز فيها البخس ولا المجاملة ولا الكتمان، قال تعالى: " **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُــونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَــاتِ وَالْهُـدَى مِنْ بَعْـــدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَـــابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُــونَ** " [البقرة:159] .

وقــال عز وجل :" **الَّذِينَ يُبَلِّغُــونَ رِسَــالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَــــوْنَهُ وَلاَ يَخْشَـــوْنَ أَحَـــداً إِلاَّ اللَّهَ** " [الأحزاب:39] .

3- مجافاة الـدنيا وزهراتها ، لتطهـير القلب منهـا، والفـوز في الآخـرة, وما أعد الله فيها للـدعاة الناصحين، والهداة الباذلين.

4- التباعد عن أرباب السلطنة والولايات، والحــذر من هـــداياهم وإغـــراءاتهم ,الـــتي ربما قتلت جهداً، أو أرهقت همة، وأضعفت بصراً .

قــال تعــالى : " **وَلاَ تَرْكَنُــوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُــوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ" [**هود:113]، وقـال على لسـان **سـليمان عليه السـلام " فَمَا آتَـانِي اللَّهُ خَيْـرٌ مِمَّا آتَــاكُمْ بَـــلْ أَنْتُمْ بِهَـــدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُـــونَ" [النحل:36]،**

5- مطالعة سـير الصـادعين، عـبر التـاريخ والانتفـاع بدلالاتها وعبرها.

6- التهمم باسـتعادة مجد الإسـلام الضـائع، وكرامته المسلوبة .

7- التفكر في الخيبة المصـــــيرية، الــــتي تنتج عن التقاعس والخنوع وإهدار واجبات الجهبذ العالم .

وكما قيل :

أأشقى به غرسـاً وأجنيه ذلـةً

إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم

لو عظمـــــــوه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا

محيــاه بالأطماع حتى تجهما

والصـدع بـالحق له صـور تتفـاوت، والعلمـاء يتعاونون في فهمها وتطبيقها :

<u>أولاها</u>: قــول الحق في القــريب والبعيد كما قــال تعالى: " **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُـرْبَى** " [الأنعام:152].

<u>ثانيها</u>: إنكـار منكر عـام في الحيـاة الاجتماعية عن طريق نصيحه أوموقف أو فتوى أو كتاب مؤلف .

<u>ثالثها</u>: كشف اللبس في القضـايا المصـيرية, الـتي هي محل تخبط الناسن وعدم إدراكهم .

رابعها: الإنكـــار على الظلمة والطغـــاة، الـــذين يستكبرون في الأرض بغير الحق .

خامسها: إيضاح الاختيار العلمي في مسائل بحثيــة، بكل ثقة وشجاعة, ولو خلاف إلف الناس .

[13] دفع السوء والمظالم : -

وهذا ضرب أساسي من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الـــذى يحفظ اتـــزان ســـفينة المجتمع ، ويصـونها من كل الوقـائع والـويلات . قـال تعـالى : " **فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُـوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا**" [هـــود:116]، وصح قوله عليه الصـــلاة والســلام : **(إن النـــاس إذا رأوا الظـــالم ولم يأخـــــذوا على يـــــده, أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه)**.أخرجه أحمد والترمذي .

وهذا الجانب الإصلاحي،العلمـاء الكبـار أولى الناس به لعدة أمور:

(1) أن العلماء الجهابـذة هم وجـوه الأمـة،وسـادتها الشرعيون ، ومن عليهم المعتمد بعد الله تعـالى ، حيث ورثهم الأنبيـاء الشـريعة ، واسـتودعوهم في الأمانة " **وَحَمَلَهَا الإِنْسَـــانُ إِنَّهُ كَـــانَ ظَلُوماً جَهُولاً " [الأحزاب:72]،**

(2)الثقل الروحي والاجتماعي، الممنـوح من البـاري تعـــالى لهم ، إذ تحـــركهم تحـــرك أمة كاملة ، وغضبتهم غضـبة شـعب متلهف ، قـال تعـالى: " **يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " [المجادلة:11]،**

(3)استقطابهم العاطفي لأفئدة الناس، حيث اعتقـاد الناس فيهم الخيرية، وحماية الشـرع، فوهبـوهم محبتهم وولاءهم الصادق.

(4)الصـــدى التفـــاعلي مع كلمـــاتهم, وفتـــاويهم, ومنشوراتهم .

(5)قـدرتهم على المواجهـة، والمنـاظرة مع الجهـال ومناصري السخف والباطل .

(6)إدراكهم لسـير أنبيـاء الله الصـابرين، والعلمـاء المبتلين، الـذين كـانوا طليعة الإصـلاح، ومحل تبعاته ورزاياه قال تعالى: **"فَاصْبِرْ كَمَا صَـبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنْ الرُّسُلِ " [لأحقـاف:35] وقـال تعـالى : " مَا يُقَـالُ لَـكَ إِلاَّ مَا قَـدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ " [فصلت: 43] .**

والمتأمل للحيـاة الإسـلامية المعاصـرة الـتي يطغى عليها التشرذم ، ويغشـاها الظلم والاسـتبداد ، يـدرك بجلاء عظم احتيـاج المسـلمين إلى (**قـادة الإصلاح)،** ودعاة الإنقاذ ، وحملة المشاريع و(صُـناع التضحيات)، الـذين يعملـون بما قـرأوا، ويطبقـون ما فهموا ويسعون إلى مرضاة الله، ويحتسبون خطـاهم البلاغية، وتحركاتهم الدعوية **. " وَجَاءَ مِنْ أَقْصَـى الْمَدِينَـةِ رَجُـلٌ يَسْـعَى قَـالَ يَا قَـوْمِ اتَّبِعُـوا الْمُرْسَـلِينَ[يس:20]**، إن الأمة في واقع مـتردٍ، يحتـاج إلى السـعاة المنقـذين، الـذين يتنـاوبون على مرافق المجتمـع، دعـوة،ونصـحاً، وتـذكيراً وتحريضـاً، وإصلاحاً وإنقـاذاً .. وهـذه مهـام تـأتي في خضم بحر متلاطم لا يخف هـديره، زاحف بـالوحوش والأنكـاد والأشواك فمن مشكلات الفقـر، والظلم، والسـحق، والقهر إلى رزايا التسـلط والحـرب ، والاسـتعمار الخارجي .. حتى أضحى حال الأمة :

يحـاصرنا كالـموت ألفُ خليفـةٍ

ففي الشرق هولاكو وفي الغرب قيصرُ

وهذا الواقع المـتردي، لا يجـوز السـكوت عليه بحـال لأنّ السكوت يعـني المزيد من التـدهور، والمزيد من الإذلال والتبعيـة، الـتي جـاء الإسـلام لحلهـا, واجتثاثها من جذورها .

وما بُعث الرسل عليهم السـلام، إلا لإصـلاح الأرض، وإشـاعة العـدل، ودحر الظلم والعسـف،

وتحقيق العبودية لله تعالى. " **إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ "[هود:88**]، ونواب الرسل وورثتهم، هم العلماء الذين تقوم بهم الحجة، ودورهم قائم على الإصلاح الشامل, قدر الجهد والاستطاعة، لأنهم معنيون بأوضاع الأمة، وليس لهم الفرار إلى درس علمي منغلق ، أو تأليف غائب محدود ، او تعبد رهباني منعزل !!

بل نريد من الدرس العلمي أن يكون منفتحاً على واقع الأمة ومشكلاتها وتحدياتها ، والتأليف المحقق ، يكون حاضراً يعاين ويلامس وينتقد. والتعبد المنعزل، نريده أن يشفق على الجفاء الحاصل، ويشع نسمات هدى وتذكير وإصلاح .

لقد جاء سيد الخلق عليه الصلاة والسلام والبشرية ترزح تحت خط الظلم والاضطهاد، فجد وتحرك، وشمر عن ساعد الحزم والمبادرة، إذ الوضع بئيس، والحال ضنك, وليس له إلا السير الحثيث ، ولو طال الطريق، وعظمت المخاطر..

في كفه شعلة تهدي وفي فمه   بشرى وفي عينه إصرارأقدارِ
وفي ملامحه وعد وفي دمه   بطولة تتحدى كل جبارِ

لم ترهبه صلى الله عليه وسلم عصا الظلم والطغيان، ولم يحزن من بُعد الشقة، وقلة الناصر والمعين، بل سار وتقدم، وجد وقاوم، إذ الحياة العربية كانت حاوية أشكالاً من الفساد العقدي والاجتماعي والسلوكي، والنفسي، فلم يتردد من مواجهتها والتغلغل في أحشائها، لينزع منها جراثيم

المرض والداء .. فاستطاع تحقيق ذلك، وأعانه الله بفضل جده وصدقه وحيويته .
إن مثل هذا الجهد الحثيث، وذلك السعي المتسارع خليق بفضلاء العلماء أن يتدبروه ، ويقفوا عنده ! إذ كيف استطاع صلى الله عليه وسلم أن يحدث تحولات تاريخية ، وفي مجتمع متلبد بالظلمات ، والمخالفات ، وهو وحيد فريد ؟!
إن (**مطالعة متأملة**) للسيرة النبوية وإدراك الخط النبوي في الإصلاح، وتتبع إضاءاته وتنقلاته, وما تعرض له من متعرجات وقلاقل ، سيجيب على هذا السؤال, وسيوضح لك أن هناك منهجية شاملة للإصلاح ، وإصراراً كبيراً على التحدي، وعلماً نافذاً إلى ستور الجهالة ، ودعوة عميقة مخلصة ، وحكمة رائعة تتجاوز التخبط ، وقرآناً يأسر القلوب، وأخلاقاً تخطف الأبصار !!
ويجمع ذلك كله (**نفس كبيرة**) قد تجمعت فيها محاسن الخصال ، وروائع الأعمال قد علاها الجد ، وشحنها المضاء, واستولى عليها القرآن بكل أنواره وعزائمه ومعالمه .
لقد وعى رسولنا صلى الله عليه وسلم القرآن ببيناته ومواعظه وأسراره وتحولاته, فاستثمره في خط سيره الإصلاحي، واستطاع أن يقاوم به كل خصم، ويكسر به كل ظلم، ويتحدى به كل جبروت.
لقد كان صلى الله عليه وسلم مؤهلاً علمياً ونفسياً ودعوياً على المواجهة والإقدام، الذي حمله على شق طريق الأخطار ، واستنقاذ جيل جديد يحمل الدعوة، ويشاركه هم الإصلاح والتغيير، فبرز في الجماعة الأولى زوجه خديجة، وأبو بكر وعمر وعلي وعثمان، وسعد والزبير وأم سلمة وبلال رضي الله عنهم أجمعين ، فشاركوا رسول الله همه بعد أن

تــأثروا بمعجزاته وأخلاقــه. لقد عــاينوا رجلاً عظيماً في دينــه، وعظيمــاً في أخلاقــه، محبــاً لهم، مشــفقاً عليهم يســارع إلى نفعهم وخـــدمتهم ، فما تمــالكوا أنفسهم ، إلا ويسلمون إليه القياد.

ولم ينته حد الإجلال والخضــوع إلى أصــحابه، بل جــاوزهم حــتى بلغ إلى أعدائــه، فــرأوا من خصــاله، ودينه ما يُبهر ويــــدهش، وأيقن عقلاؤهم أن دينه هو الحــق, وأن شــريعته هي الطريقة المهدية والســبيل المحمــود المتبــع. وبلّغ رســولنا شــرع ربــه، ورحمته المباركة فســارت أمتــه، وهي تســتروح أريج نــوره وهدايتــه، وتســتطعم لذائذ ذكــره ومعارفه . ورغم ما بها من أدواء، لا زالت تنبض بنسمات، وتخرج آيــات ، وتعيش على إرث روحــاني مجيــد، وذخــيرة تاريخية مذهلــة، أقلهــا، تفاؤلها بانتصــار الإســلام، وعــودة أمجاده، وترنمها بالقرآن ، وحرصــها على المــأثورات السنية، وتفجرها بالأعلام الغُيُر، والدعاة الصُبُر .

كل ذلك بفضــائل (**الــدعوة الربانية**) والحــدث العجيب، الذي أورثه رسـولنا صـلى الله عليه وسـلم، والذي لا يزال يـذكرفي كل حـدث، ويُصـلى عليه عند أي إنجاز.

مات عليه الصلاة والســلام، ولكن لم تمت دعوته ، وأخلاقه ، وهمته العالية وجهاده المبين .

تذوب شخوص الناس في كل لحظة
وفي كل يوم أنت فى القلب تكبرُ
أتسأل عن أعمـارنا أنت عمـرنا
وأنت لنا التـاريخ ، أنت المحررُ
وأنت أبو الثـورات أنت وقـودها
وأنت انبعـاث الـدين أنت التغيرُ

إذا فــاخرت الأمم بعظمائهــا، فإننا نفــاخر بأجل عظيم، وأكبر مُصلح ومنقذ عرفه التـاريخ البشـري ..

أرسى معالم العدل، وبسط الإحسان، ومزق الظلم ، ودحر الطغيان . فيالله كم من فضائل نشرها، وكم من محاسن بثها، وكم من رحمات خلفها؟!!.
قال تعالى : " **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** " [الأنبياء:107]، وقال : " **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** " [القلم:4]. وقال تبارك وتعالى :
" **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**" [آل عمران:164] .
والمقصد أن علماء الأمة المجاهدين، والذين يأسون للواقع، فيدفعهم للعمل والمسارعة, محسودون على هذه السيرة النبوية الصافية، والتي رسمت المنهج، وتشبعت بمنائر الطريق، وبصائر المرحلة، فكان فيها العلم المتين، والفهم الصائب، والدعوة المشفقة، والعزيمة الوقادة، والفقه الواعي ، والعمل المنظم ، وكل صفة تحتاجها الشخصية المؤمنة، العاملة لهذا الدين القويم .
لقد كان السلف الصالح يتعلمون هذه السيرة الزكية كما يتعلمون السورة من القرآن, ويعتبرونها الإرث الأبوي المخلد، والذخيرة الحميمية الغالية، حتى انتفعوا بها في حياتهم، واقتفاها علماؤهم وفقهاؤهم في نهجهم الدعوي, وعملهم الإصلاحي والتربوي. فأين حفاظ الأسانيد، ومهرة التفاسير, ومنظرو العقيدة، وعباقرة الفتاوى عن هذا التراث النبوي ؟! " **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " [الأحزاب: 21]**، إن وعي العالم النبيه لهذه السيرة, وتصوره لمجرياتها, طريق لفهم عصره واستيعابه لأحداثه الضخام، وتقلباته الخطرة، إذ هي التطبيق العملي

للإسلام والمشـهد الكاشف لقصة الصـراع بين الحق والباطل، والملحمة الكبرى بين الإسلام وخصومه.

لكني أعود إلى أصل الكلام، وهو الدور الثـالث عشر الذي وصفناه بـ (دفع السـوء والمظـالم) وهو مما يُستطاع لدى العلماء، إذا تسلحوا بمتين الإيمان، وغزير العلم وثقافة المرحلة**، لكن من الضـروري تهيئة المقدمات التالية :**

أولاً: الاسـتعداد النفسي والاجتمـاعي, الـذي يضـمن للشيخ الإمام، سلوك الطريقة بكل ثقة وعنفوان .

ثانيـاً: البلاغ المـبين، المسـتند إلى بـراهين تكشف الباطل ، وتحذر من سمومه الفاحشة .

ثالثـــاً: التـــدرج الإصــــلاحي، المتسم بالحكمـــة، والموعظة الحســـنة، والمجادلة بــــالتي هي أحسن وأفهم . **قــال تعــالى : " ادْعُ إِلَى سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَـادِلْهُمْ بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"** [النحل:125]**.**

رابعاً: تهيئة القاعـدة الشـعبية، الـتي تـؤمن بصـحة المسلك، وضـرورة العمل والـدعوة، قـال تعـالى : " **قَـالَ مَنْ أَنْصَـارِي إِلَى اللَّهِ قَـالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَـارُ اللَّهِ " [آل عمـران:52]، وقـال صــلى الله عليه وســلم : (ما من نــبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كـــــــان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتــدون بأمره)،** أخرجه مسلم .

خامساً: فقه سير الإصـلاح، وما قد يـترتب عليه من عواقب ونتائج حسنة أو ضارة .

بعد ذلك يتأكد في حق من قــــــدر وتأهل أن يباشر العمل الإصلاحي، بالدلالة على المعـروف والتحـريض عليه، والنهي عن المنكر، والتحـذير منـه، وهـذا جـزء

مفروض من وظيفة العالم الشرعي الذي مكنه الله، وفتح عليه، ونّور بصيرته , والله الميسر والمعين .

[14] صيانة التاج العلمي :

العلم تاج مكلّل، يضعه الله على رؤوس من شاء من عباده ، قال تعالى : " **يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" [المجادلة: 11]، وقال : " هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ "** [الزمر:9]، حملة العلم استحقوا وسام التبجيل من الله تعالى، لعظمة ما حملوا، ولشرف ما قرأوا وحفظوا. رفعهم الله بشرعه، ومكنهم من نفوس عباده، يعلمونهم دينهم ويهدونهم سبيلهم، ويحظون منهم بكامل التوقير، وبليغ الإجلال والتقدير .

ما الفخر إلا لأهل العــلم إنهم ** على الهدى لمن استهـدى أدلاءُ

وقـدر كل امـرئ ما كـان يحسنه ** والجـــــاهلون لأهـل العلم أعداءُ

ففز بعلـم تعش حيـاً بة أبـداً ** فالنــــاس مــــوتى وأهل العـلم أحياءُ

كل ما يقـــال عن التـــاج العلمي المكسو به بعض النـــاس، لا يوفيه حقـــه، فهو تـــاج الفضيلة، وعنوان العلاء، وبارقة المجد، وعنفوان العز، وينبوع السمو، ونسمات النجح، وقوام التمكين، وميدان الرخاء، ونشوة البلوغ والانتصار ... وتاجُ هذه وصفة، وتلك معالمه! لا يجـوز بحـال من الأحـوال أن يكــون ممتهنــاً عند أهله مبــذولاً لغــير مســتحقيه، مضـرجاً بـدماء المين والغش والخيانـة، مسـوقاً إلى الدنيا وبراثنها، محملاً بأوزار الحياة ورزاياها .

وقد قال أبو اسحاق الالبـيرى رحمه الله في قصيدته العصماء الرائعة :

أأشقـى بـه غرسـاً وأجنيه ذلـة

إذن فاتباع الجهل قد

كان أحزما

ياعجباً من عالم قضى حياته في الـدرس والتحصـيل والجد والرحيـل، والرسم والتقييـد، يـبيع هـذا العلم المصـفى بيع السـماح؟! ويتجر به في دنيا الحيـاة، متبعـاً مناصـبها، وملتمسـاً زهراتهـا، ومتسـلقاً إلى أربابها ، قد جعل من علمه مطية الأهـــــواء والأدواء والآلاء، والعيـاذ باللــه! ما هكــذا حق العلم، ولا حق تاجه المكلل، ولا إبريزه المجلل؟! يفـترض في العلم وقلائده، أن تحمل صـاحبها على خلق العـزة والصـبر والشموخ، فيكـون عزيـزاً بعلمـه، ضـنيناً بـه، معظما لحقــه، صــائناً لمحتــواه، لا تخدعه الــدنيا، ولا تغشه مفاتنهـــا، ولا يســـتغفل من ملاكها . **كما قـــال سليمان عليه السلام : " أَتُمِـدُّونَنِ بِمَـالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْـرٌ مِمَّا آتَـاكُمْ بَـلْ أَنْتُمْ بِهَـدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ "[النمل:36].**

التاج العلمي في شخصية العـالم والشـيخ، يكمن في صدقه، وعلو ذاتـه، وحفاظه على مبادئه ، وعـدم خرق أمانته . إن العالم الشـرعي مـؤتمن على أنـوار الوحيين، فلا يبذلها في غير محلها ، ولا يكدرها بآفات الدنيا ، ولا يـذهب سـطوعها بـالخلود إلى الأرض، ولا يطفئها بالانغمـــاس الــــدنيوي والانحلال الفكـــري

والأدبي. **قال تعـالى: " وَاتْـلُ عَلَيْهِمْ نَبَـأَ الَّذِي آتَيْنَـاهُ آيَاتِنَا فَانسَـلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَـهُ الشَّـيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِـئْنَا لَرَفَعْنَـاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَـــدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَـــعَ هَـــوَاهُ "[الأعراف:65-66].**

والانسلاخ من الآيات وخرق العلم يكون بما يلي :-

1- نكـران نعمة الله تعـالى، واعتقـاد أنه حصـله بكده وتعبه **" قَـالَ إِنَّمَا أُوتِيتُـهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي " [القصص:78].**

2- مناقضة العمل للعلم الموروث, والسـير على غـير هـداه بسـبب فسـاد النية أو ضـعف الشخصـية ، أو رغبة دنيوية والله المستعان ، **قال تعـالى : " كَبُـرَ مَقْتـاً عِنْـدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ "[الصف:3]،**

3- التأكل الدنيوي بالشـريعة الربانيـة، والـزج بها في مواضع منحطة، ومواطن مشينة .

4- عـدم صـيانة التـاج العلمي ابتـداءً ,وتكـديره بأهواء النفوس، ومنكرات الأفعال، قال تعالى **:" مَثَـــلُ الَّذِينَ حُمِّلُـــوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْـفَاراً" [الجمعة:5]،**

5- جهل حقيقة الرسـالة العلميـة، ومسـتلزماتها الضامنة من السقوط أو التعثر.

6- الركون الدنيوي، الناتج عن الدهشة والاغترار، واسترضاء سادتها ووجهائها ، قـال تعـالى **: "**

وَلا تَمُـــدَّنَّ عَيْنَيْـــكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِـــهِ أَزْوَاجــاً مِنْهُمْ زَهْــرَةَ الْحَيَــاةِ الــدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيــهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْــرٌ وَأَبْقَى "[طه:131].

7- الانكفــاء الــذاتي، وعــدم تعــاطي العلــوم وممارساتها فى الحياة الإسلامية جداً وبـذلاً ، وعملاً .

8- معاشــرة أهل الباطل والظلم، الــذين شــقوا جلبـاب تـدينهم، وعُرفـوا، بـالخوض في آيـات الله, وعدم تعظيم العلماء .

9- قـال تعـالى : " وَلا تَرْكَنُـوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ" [هود:113].

10- التصــدع من صــدمات الحيــاة ، والفشل أمــام أول امتحــان ، كــان من جرائه اهــتزاز النفس ، وضعف الشخصية، وهوان المبـادئ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

11- الهزيمة النفسية والفكرية, المكتسـبة من الواقع المــــؤلم للأمة وتخلفها الحضــــاري والانــدهاش بالتقـدم الغـربي، وما آل إليه من السـيطرة العالميــة، والتســلط الاقتصــادي، والإرهاب العسكري.

كل ذلك من مســببات الهزيمة النفســية لــدى أكــثر شــعوب الأمــة، وربما تضــاعف الســوء إلى أن يحل بالعلماء الجهابذة والشيوخ البصراء, فيـؤدي ذلك إلى شئ من النكوص والتقهقر. والله المستعان .

فــإن لم يحصل الانســلاخ الفــاقع، بــدت ملامحه على الفتاوى والدروس والإصدارات ، بدعوى الحكمة المحمـودة، أو وعي المرحلة ، أو غيبة الأمة وضـعفها أمام المواجهة .

ومن العجيب هنا أن بعض المشـــــيخة العلمية ينظر لهــــذا الوضع العلمي، بالأدلة والنصــــوص، ويكيفه شرعياً وتاريخياً!! لئلا يُتهم بما يخل منهجـه، أو يقـدح في ذاته أو علمـــه! فغـــير خـــافٍ ومســـتتر الرزايا المتوالية على أمة الإسلام ، والذلة الجاثمة علىحياتها المختلفة ، والـــتي قد تنعكس على بنيتها الثقافيـــة, الـــــتي يؤسس لها أهل العلم . ويغـــــذونها بكتبهم ومعـارفهم . لكن أن يصـير الأمر (جبنا علميـا) حيث يُنظر للجبن، وتُكيّف الهزيمة ،ويُســـوّغ الـــذل بكافة صـوره ، وتنسى عـزة العـالم ، واسـتعلاء الشـريعة ووهج الأمة !! فهذا لا يطاق.

وأين نحن من **قوله تعـــــــــالى :" أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ أَعِـزَّةٍ عَلَى الْكَـافِرِينَ" [المائـدة:54]، وقوله تعـالى : " أَشِـدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُمْ " [الفتح:29]، وقوله : " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَـافِقِينَ لا يَعْلَمُـونَ" [المنـافقون:8]،** أما يقـرأ هـؤلاء القـرآن والسـنة النبوية ؟! وما تحـوط به الشخصـية المؤمنة، من عزة وصـبر وشـموخ **" وَلا تَهِنُـوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ "[آل عمـــران:139].** أو أنهم لم يطـــالعوا المســـيرة التاريخية لهـذه الأمـة, وكيف تجلت عـزة العلمـاء... وبدت محاسنها التى تخفى وكان الأمر جداً..

أو أنهم لم يســـمعوا قـــول الشـــاعر الأبي العزيز :

عِش عزيـــــزا أو مُت وأنت كريم	**بين طعن القنـا وخفق البنودِ**
فـــــرؤوس الرمـــــاح أذهُب للغيظِ	**وأشفى لغـل صدر الحقودِ**
لا كمـا قد حييت غــير	**وإذ ا مـت مـت غير**

حـميدِ	فقيد

من المؤسف أن حــوادث الأيــام لا زالت تكشف ما تحت الغطــاء، فيــبين جبنــاء الفقهــاء، والمتــاجرون بالشريعة، وزمـرة الإسـلام العصـري، وأعلام التمـييع العقدي، وصاغة الإسلام الأمريكاني !!

بانوا وبانت حُججهم, وطـالع النـاس طروحـاتهم، فلم يجدوا غير واضع كف حـائر على ذقن، أو قارعـاً سن نادم !!

منهــزم ، يجسد الهزيمة بفعاله ومواقفــه، وجبــان متقاعس عن العمل، ويفتي بصورة انبطاحيـة، تخـدم الأعداء وتضر الأولياء .

هذا الزمـان الـذى قد قيل فيه لنا	**يغدو الحليم بما يلقاه حيرانا**

ما من حــدث تصــطلي به أمتنا إلا ويهدهد كيانهــا، ويصــيب فضــلاءها، ويضــاعف مصــائبها، ولكن الأمة بحمد الله لا تزال حية باقية رغم كل ما يحدث **" هُوَ الَّذِي أَرْسَــلَ رَسُــولَهُ بِالْهُــدَى وَدِينِ الْحَــقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْــرِكُونَ " [التوبة:33]،** جاءت أحـداث سـبتمبر المفصـلية, فتكشفت الأسرار، وبـدت العـورات، وتـرددت مقولة الإســلام على (الطريقة الأمريكيــة) وبــات علمــاء ينظــرون لمرحلة جديــدة في حيــاة الأمة ، محتجين بدليل الجبن، ومستندين إلى أصل الهزيمة والتخوف، حــافين ذلك بالحــذر العــام ، والمصــلحة المرحلية ، والرقـــدة الســـرمدية، ونتج عن ذلك كتب وفتــاوى وبيانــــات لا تمثل حقيقة **(الإســـلام العزيز**) بل تفتئت عليه وتناقض نفسها، وتضطرب تقريراتها!!

ذلّ من يغبط الــذليل بعيشٍ	**ربَّ عيشٍ أخــــفُّ منه الحمامُ**

يا عجبـــاً ! أين هم من قـــرآنهم الحكيم، وســـنتهم المرضـــية؟!، هل قرأوهما حق القـــراءة وهل بلغت البينات قلوبهم، فرسخت عليها نفوسهم ؟!
وأين الثقافة الحافلـــة، والتـــاريخ العجيب والـــتراث الأصيل، والأدب الزاهي الرطيب؟!ُ

وكأنما كتب الـــتراث خرافة كبرى فلا عمرُ ولا خطاب !ُ

انفصلت هذه الأمة عن تاريخها، وباتت بمعزل عنه، لا تســتهدي بضــيائه، ولا تســتلهم عــبره، ولا تســتغني بدروسه وفوائده، ولقد أحسن القائل :

ومن وعى التـــــاريخ في صدره أضـاف أعماراً إلى عمرِهِ

استبصر الغــرب الكــافر بتأريخه المأســاوي، فدفعته المأساة إلى اقتحام الدهر، والثــورة على الظلم والتخلف ، ففجر للعـــــالم علمه المـــادي، وثورته المدنية كما قـــال محمـــود غنيم رحمه الله في (وقفة على طلل):

استرشد الغـــــــــربُ بالماضى فأرشده ونحن كان لنا مـاضٍ نسيناهَ

ويحَ العروبة كان الكون مسرحها فأصبحت تتوارى في زواياهُ

لابد لعلماء الأمة أن يراجعوا تاريخهم المتفرد بــالعزة والشرف والبطولة ، ويحاكوا فيه شــمائل أجــدادهم ، الـــذين صـــنعوا هـــذا التـــاريخ, وســـطروه بـــدمائهم وتضحياتهم ...

ثمن المجد دم جـــدنا به	فاسألوا كيف دفعنا الثمنا

لم يكن هــــذا التـــــاريخ في حركته الزمنية مزهواً بالريــاحين ، ولا مــدبجا بالأكاليــل، بل خاضــــوا فيه الصـــعاب، واقتحمـــوا لأجله

الأهــوال، فنــالوا ونيل منهم، وأبــادوا وأبيد منهم، ولكنهم أصح عقيـدة ،وأحسن منهجـاً، يـــدركون عاقبة الطريق ، ونهاية المضـــمار السعيد " إِنْ تَكُونُـوا تَـأْلَمُونَ فَـإِنَّهُمْ يَـأْلَمُونَ كَمَا تَـأْلَمُونَ وَتَرْجُـونَ مِنْ اللَّهِ مَا لا يَرْجُـونَ" [النساء:104]،

سقيناهمُ كأساً سقونا بمثلها **ولكننا كنا على الموت أصبرا**

ما يضير العالم الحق، لو انتهج القرآن، واقتفى الآثار، وتسلـح بالصـبر والاعـتزاز ، وسـاق علمه وخـيره في طبق من ذهب مصـــــفى ، غــــير مخـــــدوش ولا مغشوش؟!

لو فعل مثل ذلك لأرضى ربه تعالى ، وصدق مبـدأه ، وكسب الجماهير المسلمة ، واسـتحق محبتها وثناءها ،وعاش كريماً عزيزاً ويعـدها إما أن يئـول به الحـال إلى عزة شامخة ، أو خاتمة مشرفة .

وإذا لم يكن من الموت بدُ **فمن العار أن تموت جبانا**

يا علما ء الإسلام، إن كـانت الأمة المسـكينة قد ذلت ، فلا تـذلوا أنتم ، ولا أقل من أن تثبتـوا أنتم ،وتعلنـوا صمودكم في وجه الظالم والمحتل!

فإن أبيتم إلا الذلة والخنوع ،وإصدار الفتاوى الخائبة ، والبيانات المستكينة، فاعلموا أنكم قد خـذلتم الأمـة، وحكمتم على أنفســكم بــالخلاص والفنــاء، وانتهى علمكم إلى سفال ووبال ، والجزاء من جنس العمل. ولا يظلم ربك أحــداً.ولو أنكم لــذتم بالصــمت لكــان خــيراً لكم من فتــوى مضــللة ، أوبيــان مخــذل **" لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْســـاً إِلاَّ وُسْـــعَهَا" [البقـــرة: 286].**وســيعوض الله الأمة خــيراً ممن خــذلها أو نــــاقض علمه ، أو ســـكت واختفى **" وَإِنْ تَتَوَلَّوْا**

يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَـالَكُم " [محمد:38].

ومحصلة الكلام أن هزيمة العـالِم نفسـياً وفكريـاً من أسـباب تقلبه وانسـلاخه وقعـوده عن العمل والبلاغ والنصح والبيـان ، وهـذا مما لا يرضـاه الله تعالى ، ولا يقبله المؤمنون ، لأنه هتك للعلم ، وخـرق لمبادئه ، وتدمير لمعلوماته ومسائله.

وإنما أطلنا هنا لخطـورة هـذا السـقم، وتداعياته السلبية على العالم والأمة والعلم، وأما الأمـة، فقد ذاقت مـره وكآبتـه، وأما العالم فقبيح انتقال العـدوى إليـه، وتجرثمه بهـذا المـرض الفاتـك، عقائـدياً، ونفسـياً، وإجتماعياً.

أعـود هنا وأؤكد على موضـوع (صـيانة التـاج العلمي)، وأن **ثمة عوامل معينة على حفظ هذا التاج ، وإبقاء لمعته سـاطعة بهية . منها ما يلي :**

(1) الإخلاص المتنـاهي لله تعـالى في طلبه وحمله وتبليغه ، واعتقاد أنه منة الله تعـالى, ورحمته على عبـاده. **" مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَـةٍ فَلا مُمْسِـكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِـلَ لَـهُ مِنْ بَعْـدِهِ وَهُـوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "[فاطر:2].**

(2) التعزز به في المجالس والمحاضـرات، وفي الوسـائل الإعلامية ،وعـدم استرخاصه وامتهانه فى زهرات الدنيا.

(3) الاستغناء به ذاتياً واجتماعياً وشرفياً, وتقدير كونه كنزاً مذخوراً وتبراً نفيسا .

(4) اقتفاء نهج السالفين من العلمـاء الصـابرين، والجهابـذة الصـامدين الـذين ضـنّوا بـالقلم،

وصانوا جوهره ووقـاره ، وارتقـوا به مـراقي العارفين الأفذاذ، الذين تخلقوا بأخلاق أهلــه، وقدسوا حقوقه وآدابه .

(5) تجنيبه اللـــذة الدنيوية ، والحـــذر من إجابة رغباتها ، أوالانخـداع بغرورها **" وَمَا الْحَيَـاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ " [الحديد:20]،**

(6) الزاد الروحاني ، الذي يـوفر السـياج المـتين لـــدرر العلم ، وتمنحها الحماية والتصـــبر والثبات .

(7) التخوف النفسي من تضييع الأمانة ، أو تبديد جذورها الشرعية، الـتي حتمها الـرب تعـالى على أهل العلم ومن فى مقامهم**." فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عما كـانوا يعملـون " [الحجر:92].**

ومثل هــذا التخــوف من تضــييع الأمانــة، خليق أن يحمل العـــالم على صـــون العلم وتبجيلـــه، وعـــدم تلطيخه بما يعيب أو يشـــين، ومراقبة الله تعــــالى وخشـــيته على الـــدوام، وهي مما يصـــنعه العلم النوراني**. قال تعـالى: " إِنَّمَا يَخْشَـى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " [فاطر:28].**

(8) تداعي أهل العلم أنفسهم، وتآزرهم لتكــوين لُحمة اجتماعية متماســكة، يضــمن اتحـــاد العلمـــاء وتعلي من شـــأنهم وشـــأن العلم المتين، الـذي حقه الرفعة والصـيانة والتنزيه العــام ، ويمثل ذلك فى مؤسسـات وهيئـات ومنتـــديات شـــعبية بعيـــدة عن الضـــغط السياسي ..

ويكـــون من دورها تفعيل العلمــــاء المـــنزوين, وتقديم النصح للمفرطين والمتساهلين, وتتبع الجنــاة على الشـــريعة من حملة العلم ، والـــذين لاكـــوا

ألســنتهم بقضــايا دولية ، لا يحســنونها ولا يفقهــون محتواها ، وأبعادهـا, فيتم نصـحهم وتـذكيرهم بالأمانة العلمية ، وما تتطلبه أمتهم منهم ، وأن لا يقفـــــوا موقف المخذل ولا الشواذ الذين يرتكبـون الجهـالات المنكرة, ويقتفـون الأوابد المستشـنعة، رجـاءة متـاع قليـل، أولـذة دنيوية عـابرة . **قـال تعـالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِـــرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُـزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ " [آل عمـران:77]،** إن وقوف العلماء الربانيين موقفـاً حازمـاً، وحاسـماً من المتـاجرين بالشـريعة ، أو الـذاهبين مـذاهب الـذين بدلوا وتحولوا، دون سـابق إنـذار، **أو اعتـذار، يفيد الأمة والحركة الإسلامية ما يلى:**

أولاً: كشف الصـادق من غـيره ، وتميـيز الجيد من الـــردئ ، لتكـــون الأمة على بصــيرة من أمرها. **" فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَـــــــدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " [العنكبوت:3].**

ثانياً: إيقـاف مد المتطـاولين على حمى الشـريعة, ومن يوظفها لمقاصد دينوية أو سياســية ويهــذى بلا علم، ولا كتاب منير. وتجد أعـداء الله من الأمريكـان وأذنـابهم يفرحـون بفتاويـه، ويقومـون بتوزيعها فى أرجاء الأمة ! لماذا ؟!

لأنه خـدم مشـروعهم الصـليبي! ولأنه لـبى رغبـاتهم. ولأنه خـذل عمـوم المسـلمين من المجابهة والجهـاد المشروع، الذي هو جهاد الدفع, والذي لا يشــترط له شرط ولا قيـد، كما هو منصـوص مشـهور! ولأنه أتى بما لم يـأت به الأوائل من التجديد الفقهي، والابتكـار العلمي الذي من المؤسف لم يفـرح الأمـة، أو يكـون محل تقـديرها!! بل كـان مـوطن سـخريتها وسـرور

الأعداء بها، إذ شذ شاذ وتقول متقول، وجاء بكبريات الفظائع العلمية، ومحقرات الاجتهادات الفقهية، التي فـاقت براعة النـووي، وألمعية الغـزالي وعبقرية ابن تيمية !!

ثالثـــاً: إحيـــاء شـــعيرة الأمر والنهي، أو أداء النصح الشرعي، الـذي هو أسـاس الـدين وقوامه **كما في صحيح مسلم ، قال صلى الله عليه وسلم : (الـدين النصـيحة) وكـرر ذلك ثلاثـا. كما في رواية أبي داود.**

رابعاً: تنقية الفضاء الفكري من كل صور التلـبيس ، التي تشاع من قبل الجهـال ومنتحلي العلم، وأدعيـاء الفقه والمعرفة .

خامســـــاً: قطع الطريق على أعـــــداء الإســـــلام المســـــتفيدين من تلك المجازفـــــات المنشـــــورة ، والجهالات المبثوثة .

سادساً: الحفاظ على مسار الحركة الإســلامية، لئلا يعبث به العابثون, أو يحملوه أوزاراً شائكات ،ومــآثم مهلكات .

سابعاً: صيانة الحمى العلمي من كل يد آثمة، تــروم العبث بـالتراث, أو تشـويه سـادته, أو تفسـير مـواده حسب الهوى والمقاصد الرخيصة.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضـــــــوع
1	المقدمة
12	الأحاديث المنكرة الموضوعة .
23	نشر الدعوة الإسلامية .
28	الذب عن الإسلام وشرائعه.
33	محاربة البدع والشبهات .
38	صناعة الكتب الرصينة .
46	مناظرة المناوئين والمشككين .
55	إعداد الأجيال العاملة .
71	التصدي للحوادث والملمات .
85	تكييف النوازل المستحدثة .
92	بث المحاسن والسنن.
104	التجسيد العملي للوحيين .
107	الصدع بالحق الرباني .
112	دفع السوء والمظالم .
120	صيانة التاج العلمي .

إصدارات المؤلف

1-طلائع السلوان في مواعظ رمضان.
2-نسمات من أم القرى -جزأن.
3-أزمة الفهم.
4-هيبة المنبر.
5-أزاهير الروضة -خطب جمعة.
6-المنسك الوافر بنظم حديث جابر.
7-اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم.
8-صنوف الجهلة.
9-وقفات بهية من حياة ابن تيمية.
10- من أوابد الأشياخ.
11- بين الأذانين.
12- الدرس الرمضاني- جزأن.
13- لوعة على شوقي.
14- تنبيهــات الأكــابر إلى العلم الشــريف الطاهر.
15- تحية للفضائيات العربية.
16- ما يعيش له الجهابذة.
17- أدوية الشتات العلمي.
18- أدبية الناسك.

المخطوط وبعضه تحت الطبع

1- موقف محــدثي أهل الســنة من الــرواة الشيعة- رسالة ماجستير.
2-الجدل بين الرسول صلى الله عليه وسـلم وأهل الكتاب – رسالة ماجستير.
3-جولة في ذهن عالم.
4-الإرزاء بالعقل.
5-ظاهرة التعويق في العمل الإسلامي.

6-معالم التميز الحديثي.
7-المنهج الصفي للطالب الوفي.
8-سمات المحدث المعاصر.
9-أدب السجون.
10- مفاتن العلم والتفقه.
11- مفاتيح التحصيل العلمي.
12- صيت المتنبي.
13- ألفية القضاء.
14- توهجات النيل – ديوان شعر.
15- ألوان المشاق في العلم.
16- الإشعاع السني في رمضان.
17- المحاضرة الحديثية.
18- جوابات الساعة.